جرح الياسمين

مجموعة قصصية



جرح الياسمين

مجموعة قصصية

عايدة هنداوي مغربي





اسم العمل : جرح الياسمين

اسم المؤلف و دولته : عايدة هنداوي مغربي - فلسطين

تصنيف العمل الأدبي : مجموعة قصصية

الترقيم الدولي : 3 - 9 - 85455- 977 - 978

رقم الإيداع : 3108 / 2019

رقم الطبعة : الأولى 2019

تصميم الغلاف : عبد الرحمن فريد مغربي

تدقيق لغوي : د.بطرس دلّه

الناشر : دار ديوان العرب للنشر و التوزيع - مصر - بورسعيد

المدير العام : محمد وجيه

تليفون : 00201211132879

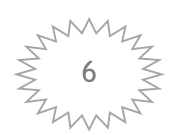
www.dewanelarab.com : الموقع الرسمي للدار

محتويات الكتاب





تمت بحمد اللّه



الإهداء

إلى الحضن الدافئ ومنبع العطاء

إلى أبي وأمي العزيزين

إلى قيثارة الحب وبلسم الأحزان

زوجي عبد الرحمن

إلى عشق الروح ومفتاح الأمومة

فلذات كبدي: فريد، محمد وليان

إلى المجروحين والمظلومين في كلّ مكانٍ وزمان

إلى أصحاب النور الملائكيّ الذين أحبهم في الله

عايدة هنداوي مغربي

****

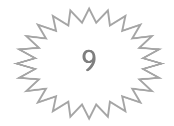
مقدمة الكتاب

الحمد لله ربّ العالمين الذي أنعم عليّ بإنهاء وإصدار مجموعتي القصصية الأولى "جرح الياسمين". فخروجها إلى النور يعني إهداء العالم قطعة من قلبي، فهي وليدة قلمي الزاخر بالمحبة الأبدية.
تحتوي هذه المجموعة على تسع قصص قصيرة، تسع قصص قصيرة جدا، وثلاثٍ وخمسين ومضة قصصيّة ألحقتها بمقال كتبته عن القصة الومضة كجانر أدبي قديم الطابع حديث المحيّا. ثم أدرجتُ في ختامها عدّة رؤى نقدية لجزء من قصص المجموعة والتي قدّمها بعض الأدباء والنقّاد في العالم العربي. فآمل أن تنال هذه المجموعة إعجابكم. وتثري نفوسكم بما أردت إيصاله لكم أعزائي القرّاء.
الكتابة تطهّرٌ وانسكابٌ لما يعتري النفس على الورق. فعندما أكتب أشعر بصرخة من أعماقي تخرج مدويّة على الملأ. هذه الصرخة مليئة بالأفراح، والأحزان، التخبّطات، والتقلّبات، الأحلام، الآلام والآمال، عشق الأرض والوطن...
بعض قصص المجموعة حقيقيّة، أنا وشخصيّاتها عشنا أحداثها فعلا، لكنني صغتها لكم بقالب أدبيّ. وقصص أخرى لاحت أمامي فأشعلتُ الخيال حطبا تحت قدرها، حتى تناغمت واستوت،

أمّا عن مذاقها فسأتركه لكم لكي تنهموا أنتم منه. كل هذا وأكثر تجدونه في مجموعتي القصصية المتواضعة "جرح الياسمين". لأنّها صوت العاشقين، المسافرين بين ثنايا الوطن، صوت المظلومين والمقهورين في كل زمان ومكان. وكلّي ثقة وأمل أنّ هذا الصوت سيصل إليكم ليحيل كل الآلام إلى آمالٍ نورانيّة يستطيع الإنسان تحقيقها في يومٍ من الأيام.

منذ نعومة أظفاري، كانت القراءة والمطالعة من أجمل هواياتي... هي كنزٌ يغذّي الفكر والروح، كنزٌ من حافظ على تجدّده انفتحت أمامه قصور المستحيل وبات ملكا عليها في كل زمان ومكان.

في بداية مشواري الأدبي أي قبل أكثر من خمسة عشر عاما وأنا ما زلت على مقاعد الدراسة، عشقتُ كتابة الشعر بعنفوانه وبعض آلياته الجمالية لكنني بالإضافة إليه كنتُ أشعر أنّ ثورة بركاني تحتاج لمنفذٍ ورفيق آخر... عندها أخذت أتبحّر أكثر في قصص أنطون تشيخوف، وروايات فون غوته، قصص يوسف إدريس وزكريا تامر وغيرهم من عمالقة الفنون السردية. حتى أعلن مخاض قلمي عن ولادة قصتي القصيرة الأولى "دعاء امرأة" عام 2010... وهكذا توالت ولادات القصص الأخرى حتى آخر سنة 2018... فقررت أن أجمعها كلّها في مجموعة قصصية واحدة.



سمّيتها "جرح الياسمين" على اسم إحدى قصص المجموعة التي كتبتها عام **2014** وهي قصّة عشق ووطن.

وما يميّز قصص المجموعة أنني سكبت قصصها في مشاهد تصويريّة أبرزت لنا نفسية ودواخل الشخصيّات بشكل كبير... وكلّي أمل أن تترك في نفس القرّاء الأثر الجميل...

وختامًا أودّ أن أنسج باقات شكرٍ عطريّة لزوجي الفنان عبد الرحمن مغربي الذي قام بتصميم غلاف المجموعة بشكل مميز. كما وأشكر د. بطرس دله الذي قام بمراجعة وتدقيق المجموعة بعد قراءتها كلّها ثمّ كتب لها تقديما راقيا.

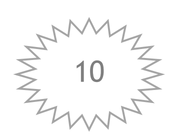
وأشكر أيضا الأستاذ الأديب محمد وجيه من مصر صاحب ديوان العرب للنشر والتوزيع الذي أصدر مجموعتي القصصية.

وفي النهاية أشكر جميع الأدباء والنقّاد الذين أتحفوني بنقد قصص مختارة من المجموعة.

وكل عبارات الشكر لا تفي حق أهلي وجميع أصدقائي الذين آمنوا بي وشجعوني خلال مسيرتي الأدبية المتواضعة.

عايدة هنداوي مغربي

****



تقديم

الأديبة الكاتبة عايدة هنداوي مغربي تظهر على الساحة الأدبية، بعد أن برزت كطالبة جامعيّة تدرس اللغة العربيّة وتهتم بالأدب العربي، وتكتب ضمن ما تكتب القصة القصيرة، القصة القصيرة جدا وحتى الومضة. دارسو الأدب يعرفون الفوارق بين هذه الأصناف الثلاثة للقصص وهي تغطّي كل ما يكتب نثرا باللغة العربية إلى جانب الرواية وأدب الرسائل والمقامة.

القارئ لهذه المجموعة سيجد أنّه إزاء أديبة ذات تجربة كبيرة في الكتابة لما لديها من لغةٍ غنية التراكيب الجميلة، وبالتناصات الكثيرة من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف. الأمر الذي يثبت أنّها قارئة نهمة وتحفظ الكثير من السور القرآنية، إلى جانب الطابع الإيماني الذي يغلب على كتاباتها. فهي كثيرة الصلوات والتضرّعات لله، وتؤمن أنّ طلباتها خلال صلواتها دائما مستجابة، خاصّةً عندما تكون في ضيق أو مواقف محرجة.

إنّ ما يميّز قصصها هذه دقّة التفاصيل التي تسردها، لتصل إلى ضمير القارئ وتقنعه بصحّة موقفها في جميع الحالات. وهي تعرف

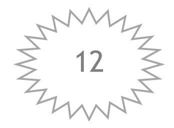
حتى وهي تروي أحداث كل قصّة كيف تلعب دور الراوي خلال عمليّة السرد.

ومن أجل إزالة أي لبس، فقد كتبت مقالا خاصا في توضيح مميّزات القصّة الومضة. فالومضة ليست جانرا جديدا على الأدب العربي عامّة ولا على الأدب الفلسطيني خاصّة. فقد وجدنا في أدب المهجريين الشيء الكثير من هذا الجانر الذي فيه الكثير من الإثارة ومن الأفكار الفلسفيّة المختصرة والتي تلفت الانتباه.

قارئ هذه المجموعة سيجد هذه التشكيلة من القصص القصيرة والقصص القصيرة جدا وكذلك عددا لا بأس به من الومضات الجميلة.

فلو عدنا إلى قصة "الأرض الحرام" لوجدنا أننا إزاء قصة قوية السبك. حيث نجحت الكاتبة عايدة مغربي بإقناعنا أنّ تفاصيل الأحداث قريبة جدا من حياة الواقع التي يعيشها إنساننا الفلسطيني والسوري أيضا.

فتسلسل الأحداث ورد بشكلٍ قويٍّ ومقنعٍ جعل القراءة ممتعة من جهة، مقنعة من جهة أخرى ومؤثّرة في نفس القارئ. بحيث يشعر القارئ الحسّاس أنّه يعيش الأحداث بكل تفاصيلها، وينفعل مع كل موقف كما لو كان يعيش قصة حقيقيّة جدا. إنّها قصة مؤثّرة نجحت فيها المؤلفة في دخول شغاف قلبي عند قراءتها. وقد



وجدتني أذرف الدموع على ما حدث، عندما نسيت نفسي وأنا أقرأ عن أبطال القصّة: عن الأب الذي فقد ذاكرته، والطفلين الذين كانا قد فقدا أباهما. وعندما وجداه لم يتعرّف عليهما، بالرغم من أنهما قد تعرّفا عليه. وذلك بسبب الأحداث التي عانى منها أبطال النضال السوريون في الحرب التي دارت منذ أكثر من ثلاث سنوات داخل سوريا وعلى الحدود السوريّة التركيّة خاصّةً منطقة إدلب.
وقد نجحت الأديبة في إيجاد الحلول المناسبة لكل موقف محرج مرّ به الطفلان البطلان، وذلك بعد نجاحها في تأزيم الموقف قبل الوصول إلى التراخي أو إلى حل العقدة. وهكذا وجدنا أنّ المؤلفة نجحت في عرض قصّة قصيرة متكاملة من جميع النواحي. فالعنوان فيه الكثير من الإيحاء، وسير الأحداث فيه متعة وإثارة في آنٍ واحد، والعقدة واضحة وكلنا نعرف أسس القصة القصيرة التي تكاملت في هذه القصة.

الأديبة عايدة مغربي لها باع طويلة وتجارب غنيّة كعريفة ومقدّمة للبرامج الأدبية بحيث تجيد اختيار الاصطلاحات والتعابير المناسبة للمكان المناسب.

لو تحدّثنا عن فن الومضة لوجدنا لديها تعريفا خاصةً لماهيّة الومضة. وعرفنا متى تكون الومضة قويّة وناجحة خاصةً بالمقارنة بين ضفتيّ الومضة، الأمر الذي يؤكد الفكرة التي عليها

بنيت الومضة. الأمثلة على ذلك كثيرة خاصّة إذا ما عرفنا أنّ الومضة هي فن كتابي جميل ظهر في اليابان بكثرة، ومن هناك انتشر إلى العالم بأسره وإلى اللغة العربية.

من النماذج الناجحة جدًا الومضة التالية: "كثر القشّ في قمحه؛ صنع منه سلّة أحلامه."

أو قولها: "اقتلع ضميره؛ نبتت في رأسه أورام الخيانة".

أو قولها: " أضاع مفتاح قلبها؛ استبدلت بابه". وغيرها من الومضات القصصية الجميلة التي برعت الكاتبة في تصويرها.

نحن نحيّي صديقتنا الأديبة الرائعة عايدة هنداوي مغربي على هذا الإبداع، ونتمنى لها مزيدا من التألق والإبداع والنجاح في إثراء مكتبتنا العربية بما يجود به قلمها من إبداع مستقبليّ.

د. بطرس دلّه

كفر ياسيف

****


الباب الأول
قصص قصيرة

د عاء امرأة[1]

طرقت الباب مرتين بتردّد، وهي تحبس أنفاسها بين الفينة والأخرى والعرق يسيل بحذر على وجنتيها.

هل تطرق الباب مجدّداً، أم تعود أدراجها إلى البيت؟!

وبجرأةٍ قالت في نفسها: "نعم وإن يكن ماذا سيحدث أكثر بعد..."

وفي المرة الثالثة صفعت الباب بكل جوارحها، كأنّها تصفع ماضيًا خذلها بقوّة. وفجأة!

فتح الباب رجلٌ ضخمٌ، جاحظ العينين، يتسمّر في وجهه العبوس. فقالت له: "السلام عليكَ سيادة القاضي! كيف حالك؟ أجابها بسخرية: مَن "أم محمّد"؟! "ها قد رجعتِ مرّة أخرى، أسَمعتِ بنصيحتي وتزوّجتِ بعد وفاة زوجكِ لتُعيلي أطفالك التسعة وحماتك؟"

[1] كتبت هذه القصّة بتاريخ: 15-03-2010

-أحداث هذه القصة حقيقية وهي جزء بسيط من سيرة حياة جدتي "ام محمد هنداوي" رحمها الله.

وقد فازت هذه القصة بالجائزة الأولى في مسابقة مجلة الشروق في كفر قاسم للقصة القصيرة صيف 2010.

ابتلعت ما قاله على مضض وأجابته: "لا أريد أن أتزوّج مرّة أخرى". فقاطعها:

"لماذا لا؟! ما زلتِ في ريعان شبابك وجميلةٌ أنتِ، فما المشكلة إذن؟!"

قالت: "إنني لا أبغى الزواج مرّةً أخرى، أريد أن أربّي أطفالي اليتامى ولا أريد سوى بعض المساعدة منكَ أيّها القاضي كي أستطيع توفير لقمة العيش لهم، إنني لا أطلب منك مالا. فقط ساعدني في إيجاد عملٍ به أُعيل فلذات كبدي اليتامى وحماتي العجوز، التي لم يتبقّ لها في الدنيا غيري".

سألها القاضي: "وأين أهلكِ؟"

فردّت أم محمّد وقلبها يعصره الأنين: "تخلّى عنّي أهلي لأنني رفضت الزواج مرّةً أخرى بعد وفاة زوجي رحمه الله. وأخبروني بأنني إن لم أتزوّج بمن يُعيلني وأطفالي، فسوف يتخلّون عنيّ، ويتركونني وحيدة، لأنّهم يرون أنّ شرف المرأة يكمن في سترها بالزواج".

سكتَ القاضي لبرهةٍ وقال لها بسخرية: "وما دُمت لا تبغين الزواج، اذهبي وأطعمي عيالكِ بنفسك".

ردّت والدمع يسيل من القلب قبل العين: "لا تريد مساعدتي، وإن يكن! ولكنني أدعو الله أن يغنيني عن الناس أجمعين، ويحاسب أمثالك يوم الدين. فهو لن ينسى تواطؤك مع الغربان أمثالك في مصادرة أراضينا بعد وفاة زوجي الغالي".

عندها دبّت كلماتها بأذنيه كالصاعقة، ثم أغلق الباب وقلبه يعجّ بالحجارة التي تأبى الانكسار.

ابتعدت عن بيت القاضي الذي كان يسكن بجوارها في حيّ المبلّطة في عكا، وأخذت تهرول مسرعةً إلى البيت، كي تُطعِم ابنتها الرضيعة التي ولدت قبل وفاة زوجها بأسبوعين. وفي خطواتها تجتمع ألفَ قطرة حنينٍ إلى زوجها الراحل، فجعلت تناجيه بروحها: "إلى مَن تركتني يا قرّة عيني، أموج في بحرِ الحياة وحيدة، بدون رفيق ولا معين. لقد غاب الأهل والأصحاب وكثر الذئاب من حولي، سلبونا الأرضَ والطريق. وأسكنونا أنا وأطفالي التسعة وأمّك في بيتٍ يكاد ينهار. أجبني ماذا أفعل؟ كيف أطعم أطفالنا اليتامى؟ قل لي! إلى أين أذهب بعد وأطلب المساعدة، والكلّ قد تخلّى عنّي؟! رحلتَ مع الربيع وألبستَ فتاتك الصغيرة عباءةً ثقيلة تكبرها بعشرات السنين".

وهنا أخذت ذاكرتها تبحر عباب الماضي الذي تحنّ إليه من الصميم.
بعد أن تزوّجت أم محمّد في الحادية عشرة من عمرها، عاشت مع زوجها عشر سنوات، كانت من أجمل أيام حياتها. لقد كان زوجها، الابن الوحيد الذي تبقّى لأمّه بعد أن فقدت زوجها وكل أطفالها الآخرين، الذين كانوا قد ماتوا صغارا، لا تتعدّى أعمارهم ثلاث سنوات.
ولهذا بقيت الأمّ الثاكل تعيش مع ابنها وعائلته إلى أن توفيّ وهو لم يبلغ بعد ثمانيةً وعشرين ربيعاً. عندها أرادت الأم العجوز أن ترحل لتعيش وحدها في المزرعة - التي كانوا يقضون فيها عطلة الصيف- خشية أن تُثقل الحِمل على زوجة ابنها المسكينة.
لكنّ أم محمد أبَت ذلك، وأغرقت نفسها بالبكاء لكي تبقى جدّة أطفالها معها،تُعينها ولو بكلمةٍ تبلسم جراحَ الحياة.
مع أنّ أم محمّد ما زالت نفساء، ونيران الحرب والتهجير تعصف بالمدينة، إلاّ أنّها خرجت كي تبحث عن عمل تُعيل به أبناءها التسعة الصغار، أو ربّما تجد من يساعدها ولو قليلاً. توجّهت لجميع أئمة المساجد في المدينة فرفضوا مساعدتها، مدّعين أنّ دائرة الشؤون الاجتماعية تستطيع

مساعدة الأرامل. فأبت الاستسلام واستمرّت في المحاولات. حيث توجّهت إلى دائرة الشؤون الاجتماعية طالبةً المساعدة، لكنّ العاملين هناك أخبروها أنّهم يستطيعون المساعدة فقط بوضع اثنين من أبنائها في ملجأ للأيتام. صَعُبَ عليها الأمر، فعادت إلى أطفالها منكسرة، تائهة، لا تدري ماذا تفعل. أتبلع حزنها على فراق اثنين من فلذات كبدها، لكي تُطعم الباقين إن استطاعت. أم تجوع ويجوع معها جميع أطفالها؟!

في صباح اليوم التالي قرّرت مع الجدّة اصطحاب طفلين من أطفالها إلى ملجأ الأيتام. خرجت والجدّة تتثاقل خطواتهما إلى الأمام مرّةً وإلى الوراء مرّات والحزن يعصف بقلبيهما. وعندما وصلتا مع الطفلين إلى دار الأيتام، استقبلهم رجلٌ عاقد الحاجبين، طويل الشاربين يريد استلام ابنيها منها. بدأ صراخ الطفلين يعلو وبكاؤهما ينتزع قلب الأم والجدّة.

عندها صاحت الجدّة بحرقة: "لا يا أمّ محمّد، ما تفرطيش بلحمك، وما تخلّيهن يوخذوا أولادنا منّا، الله خلقنا هو اللي بعينّا وما بنسانا".

انتفضت أم محمّد والدموع تجري منها مدرارا، ركضت نحو طفليها الباكيين وعانقتهما بقوّةٍ وقالت لهما: "هيا يا حبيبيَّ، فلنرجع إلى البيت والله لن ينسانا".

من قسوة الماضي إلى قسوة الحاضر تداعت لأم محمد كل تلك الأحداث في طريق عودتها إلى البيت بعد أن ردّها القاضي خائبةً، ولم يساعدها حتىّ ولو بكلمة يطيب لها الخاطر.

قبل أن تصل إلى البيت توجّهت إلى البحر عساه يبرّد عليها مآسي الحياة.

وبينما هي واقفةٌ هناك على إحدى الصخور، هبطت على كتفها حمامة بيضاء وهدلت في أذنها كلماتٍ لم تفهمها وطارت الحمامة إلى البعيد. عندها أدركت أم محمّد أنّ الله معها، ولن يتركها وحيدة. فهي أم اليتامى، والله قد وهبها هذه المنحة في ذروة محنتها، كي تحمل رسالتها الكبيرة وتنثرها على الأنام مهما قست الظروف...

وما هي إلاّ لحظات حتّى سمعت صوت أذان العصر الذي انسكب في أذنيها كالبلسم لجروحها. حمدت ربها، ثم تداعى إلى سمعها صوت المؤذّن وهو يقول: "انتقل إلى رحمته تعالى قاضي المدينة..... إنّا لله وإناّ إليه راجعون!".

جُرحُ الياسمين [2]

بيديها المرتجفتين حفرت حفرة عميقة في التراب الرطب، ودفنت المفتاح الخشبيّ مع سوار الياسمين...

- "ياسمين"! أسرِعي بنيّتي وخذي صحن كعك العيد إلى جارتنا "حَنِّة"، فهي تحبُّه ساخنًا.

- حاضر يا أمّي، سأصعد إليها حالاً.

صعدت الدرج وأجراس قلبها تسبقها نحوّ باب الجيران، هي متلهّفة لرؤيته ولكنّها تخشى ذلك.

تخشى أن تفضحها عيناها بما يخبّئه قلبها عنه وعن الجميع.

وما أن مدّت يدها نحو الباب، حتى فتحه "آدم" الذي همَّ بالخروج من البيت. عندها توقّفت لوهلة عن التنفّس، ثم أطلقت ابتسامةً خجولة. أمّا هو فقد تجمّدت جفونه نحوها، وغمرت قلبه السعادة لرؤيتها.

[2] كتبت هذه القصّة بتاريخ: 2014- 12- 31

- ياسمين...اشتقت لك كثيرا! لماذا لم تأتي إلى لقاء المرشدين الصغار البارحة في "وولفسون"؟ لقد سأل الجميع عنك...

تورّدت وجنتاها خجلا وقالت: كنت أساعد أمّي بتنظيف البيت والتحضير لعيد الأضحى المبارك.

- كل عام وأنتِ بخير صديقتي!

اقترب آدم منها هامسًا: ما أجمل رائحة الكعك التي تفوح منكِ، كأنّها تغطّيكِ بهالةٍ ملائكيّة من الجنّة.

تفضّلي، ادخلي!

خرجت حنّة من المطبخ، وعانقت ياسمين قائلةً بفرحٍ عارمٍ: كلّ عام وأنتم بألف خير! كم أعشق كعك أعيادكم. لقد فاحت رائحته في أرجاء حيّ "راسكو"، وكنت أعلم أنّ أمّك "أمينة" الماهرة هي التي تعدّه.

أمسكت حنّة قطعة من كعك العيد وتذوّقتها بلهفةٍ ونهم.

- عندما آكله أشعر أنني في الجنة. تعالي بنيّتي خذي صحنا من "الخمين" الذي أعددته فأمّك تحبّه كثيرا.

- شكرا لك خالتي حنّة!

- سلامي إلى الماما وسنزوركم إن شاء الله في العيد.

بعد الدوام المدرسيّ كانت ياسمين تخطو إلى البحر بخطواتٍ مسرعةٍ، لتنثر له قصصها الصغيرة المغلّفة بقلبها الوردي، ولتسمع منه هدير الروح الذي يُحيي فيها الأمل من جديد. كان آدم يفاجئها بحضوره أحيانًا. كأنّه يمتلك تلكَ الحاسّة السادسة التي تدلّه على رائحتها أينما ذهبت. كان يداعب رمال الشاطئ وهو يتحدّث إليها عن طموحاته وآماله في الحياة، يستمع لحديثها الرقيق، وتسلبه كلمات قصائدها التي تلقيها عليه بكل دفءٍ وحنان. ومع كل موجة يتنهّد قلبه وسط البركان. إلى الآن لم يعترف لها بحبّه العاصف، ولكنّ عينيه فاضحتان، وكل قطرة من دمه تبوح بحبها.

هي لا تريد أن يراهما أحدٌ معًا، خصوصا والدها، الذي باتت تلحظ استياء وجهه عندما تتحدّث مع آدم أمامه. وكأنّه ينسج لها مستقبلا عاصفا بالمخاطر. وقد سمعته مرةً يصرخ في وجه أمها قائلا: ...نعم، أعلم أنّهما ما زالا صغيرين، وأنّهما صديقين فقط. لكنّهما في المدرسة الثانوية، وعلى عتبة الخروج إلى الواقع المؤلم الذي لا يرحم. ويجب أن يسيرا في طريقين مختلفين.

- هل تخاف أن يتعلّقا ببعضهما؟!

- نعم يا أمينة، لقد ضغطتِ على زر خوفي. تعلمين كم أحبّ عائلة جارنا "حاييم" رحمه الله، وخصوصا أنّه أوصاني على حنّة وآدم قبل موته.

- رحمه الله كان جارا رائعا وصديقا وفيّا، بعكس أخيه "عاموص" الذي يكرهنا ويكره العرب.

- لا أظنّ ذلك يا أمينة، لأنّ والدهما كان صديق والدي، وظلّ يعمل في "دكّانة" الثياب بجانب محلّ الفلافل التابع لوالدي إلى آخر عمره. وكنّا في صغرنا من أعزّ الأصدقاء، كان حاييم وعاموص يتجوّلان معي ومع اخوتي وأصدقائي في ميناء عكا وأزقتها بقلوب تغمرها البراءة، حبّ المغامرة والمرح. دون أن ندري ما الفرق بين المواطن العربي واليهودي.

- لكنّه تغيّر عندما كبر، وأصبح يتعامل بعنصرية مع العرب.

- نعم هو دائم الغضب من العرب خصوصًا كلّما سمع بتفجير ما قد حدث في البلاد. ونحن ألا نغضب عندما تُمارس العنصرية وأعمال العنف من اليهود على العرب؟!.

- نعم يا زوجي العزيز، أنا أكره العنصرية بكل أشكالها... متى ينتهي هذا الصراع متى؟!

- أتمنى أن ينتهي يوما ويحلّ السلام. لكن أنتِ تعلمين أننا بغنى عن المشاكل، خصوصا وأنّ ابننا مريض ويحتاج إلى غسيل الكليتين شهريا. همومنا كبيرة، فلا داعي لأن نزيدها.

كلّما تذكّرت ياسمين حديث والديها هذا، يضيء أمامها ضوءٌ أحمرُ متقطّعٌ، يأخذها نحو الغابة لتصارع بنات آوى. وتعود إلى البحر ممزّقةً لتغسل نفسها من لهيب الدماء. فيبلسم البحر جراحها بملحه الذي لا ينتهي.

مرّت الأيام بلمح البصر، وتخرّج آدم وياسمين من المدرسة الثانوية بتفوّق ونجاح باهرين. أقامت لهما حنّة حفلةً صغيرةً في بيتها المتواضع. حضرها عاموص على مضض، بارك لابن أخيه، ولكنّه أفسد فرحة حنّة عندما تحدّث إليها هامسًا في المطبخ وهي تعدّ الشاي.

- ماذا تفعلين يا حنّة؟! لماذا تقرّبينهم إليكِ هكذا، أنسيت أنّهم ما زالوا عربًا؟!

- ماذا تقول؟! هل نسيت، أم أذكّرك عندما تخليتَ عنّا عقب وفاة أخيك حاييم، وأدمنت الكحول. من تعتقد الذي وقف بجانبي في مثل هذه الظروف الصعبة غير عبد

الله وأمينة. وأنت تعلم أنني بتٌّ وحيدةً بعد أن توفي أخي في حرب لبنان.

- هل لاحظتِ؟! لقد قلتها حرب... بيننا وبينهم حرب لا تنتهي.

- اللّهُمَّ احفظنا! أنت مهووس بالسياسة، التي ستدمّرك نهائيا. أنا لا يهمّني سوى أنّهما شخصان طيبَان وقد ساعداني كثيرا في محنتي وفي كل الأوقات. فقد دبّر لي عبد الله عقب وفاة زوجي عملاً كسكرتيرة عند صديقه المحامي كي أعيل نفسي وطفلي الصغير. أين كنت أنتَ من هذا كلّه؟!

- حسنًا، قولي ما تشائين. هذا الأمر لا يرضيني.

خرج عاموص من المطبخ وعيناه تنفثان الجمر وطرق وراءه باب البيت بكل شراسة.

مسحت حنّة دموعها قبل أن تخرج بالشاي والكعك للضيوف، ولبست ثوب الفرح وحلقها ينزف ضجيجا من الألم. جلست بجانب ياسمين وقالت لها:

- لقد تحدّثت مع صديقتي المرضة المسؤولة عن قسم الولادة في مستشفى نهاريا، لكي تجد لك عملا في هذه السنة التي سترتاحين فيها ريثما تدخلين الجامعة، وقد

أخبرتني أنّه ينقصهم موزّعة طعام للأمهات. لهذا تستطيعين استلام هذا العمل قريبا. وفي نفس الوقت تكونين قريبة من أخيكِ شفاه اللّٰه!

عندما سمعت ياسمين هذا الخبر رقصت من الفرح، ثم قامت وعانقت حنّة بكلّ حرارة.

- لا أدري كيف أشكرك يا خالتي.

- لا تشكريني بنيّتي، فأفضالكم عليّ كثيرة، ولا أعلم كيف أردّها.

قال عبد اللّٰه معاتبا: لا يا أختي، لا نريد مقابلا. لأنّ اللّٰه ورسوله أوصيانا بتقديم المساعدة وعمل الخير لكل الناس.

- ونِعمَ الجيران أنتم... أشهد أنني لم أرَ أشخاصًا مثلكم، تكتنف قلوبهم نفحات الإيثار والمحبّة.

بعد مغادرة الجميع، اقترب آدم من أمّه وشكرها على كلّ ما فعلته. ولكنّه لمح في وجهها هالات الحزن والألم. وعلم أنّ عمّه هو السبب. احتضنها وأخبرها ألّا تخاف ما دام هو بجانبها.

- لا تحزني يا أمّي! سأدخل الجامعة وأتخرّج منها طبيبا تفخرين به ولن يمسّك أحد بأذى.

- ولكنّك قبل أن تدخل الجامعة، ستذهب عمّا قريب للخدمة العسكرية، أنسيت؟!

- لا لم أنسَ، إنّني لا أستطيع التهرّب من أداء هذا الواجب اللعين. واجبي هذا يُحرقني قبل أن أذهب إليه.

- لماذا يا بنيّ؟!

- لأنني...لأنّ...لأنّني...!

- ما بكَ يا بنيّ، أفضِ بما في قلبك لي، فليس لنا سوى بعضنا. فأنا أمّك وأختك وصديقتك وَ...

- نعم يا أمي الحنون أنتِ كلّ حياتي، ولكن...

- ولكن ماذا؟!

- لا شيء، لن تفهميني كما لم يفهمني حتّى أعزّ أصدقائي.

- أنتَ تحبّها، أليسَ كذلك؟!

- من هي؟!

- ياسمين...

- كيف عرفتِ؟!

ابتسمت حنّة ابتسامة مستيقظة من حلمٍ طفولي، وقالت:

- قلب الأمّ لا يخطئ. ولكن لا أدري يا بنيّ بماذا تخبّئ لكما الأيّام.

- وهي؟! هل تحبّك؟!

- لا أدري...هي تعاملني كأخ وصديق. وإلى الآن لم أعترف لها بحبّي.

- ولكن لماذا هي؟! لا تنسَ أنّها عربيّة، وسيبقى ديننا ومجتمعنا واقفا يزأر بالمرصاد.

يا بنيّ! أنت تعرف عدّة فتيات يهوديّات جميلات... ابنِ علاقة مع إحداهن.

- أتظنّين أنني لم أفعل. لقد حاولت ذلك، ولكنني لم أنجح. ياسمين فتاة مميّزة جدا، جميلةُ القلب والقالب، رقيقة جدا وبالنسبة لي لا تضاهيها أيّة فتاة. إذا لم أرها في يومٍ ما، أصبح كالمجنون الذي يجوب البلاد بحثًا عنها.

هنا ينتهي حديث الأم وابنها، وقلباهما ينبضان بحكايا لا تكتمل.

تقفُ ياسمين على الشاطئ للحظات قبل أن تذهب ليومها الأول في العمل، وشعرها الأسود الطويل يحرّره نسيم البحر المشتاق. تدمع عيناها العسليّتان، فتغزل من أشعّة الشمس أمنياتٍ، تقذفها إلى البحر ليحفظها لها، كما كان يفعل من قبل. ويفاجئها صوته الدافئ:

- يا لؤلؤة البحر! كنت أعلمُ أنّك هنا.

يتنهّد قلبها وتلمع عيناها بحضوره البهيّ.

- آدم... هل ستذهب اليوم إلى الجيش؟!
- نعم وجئتُ لأودّعك...
- مع أنّني تمنيّت أن يقوموا بإعفائك، ولكن فليسهّل الله دربك وتنتهي فترة خدمتك بدون حروب بين الشعبين.
- نعم وهذا ما أرجوه وأعدك أنني لن أقتل أي شخص مهما كان... سأحاول أن أخدم مع الجهاز الطبي في الجيش. وأردف يقول:
- جئتك اليوم مودّعا، ولكن أحضرتُ لك هديّة.
- آه... ابتدأ الفضول يجرفني ...
أخرج آدم من جيبه مفتاحًا خشبيّا كان قد صنعه بنفسه. وعلّقه بعقدٍ من حرير، ثمّ وضعه حول عنق ياسمين ويداه ترتجفان كلّما تطاير شعرها الأسود نحوه. ثمّ أهداها سوارا من الياسمين.
- يا الله ما أجملهما، شكرا لك صديقي.
- إنّهما للذكرى، عديني أن يبقيا معك دائما يا حبيبتي... إنّها المرة الأولى التي يقول لها "يا حبيبتي". تناثرت هذه الكلمة إلى مسامعها وجعلتها تتسمّر في مكانها دون أن تنبس ببنت شفة.

- نعم... أنتِ حبيبتي وروحي وكياني، ألم تشعري بي طوال هذه السنين؟!

كتمت ياسمين حبّها وأقفلت عليه هذه المرة بسبعة أقفال حتى لا يتسرّب أمامه.

- لا أدري ولكن... أنت جارنا وصديق الطفولة... ولا يمكن أن تتطور علاقتي بكَ أكثر من ذلك، لأنّه، لأننا....

- قوليها... لا تتردّدي... لأنّكِ عربيّة وأنا يهودي...

- نعم.

- لا يهمّني، المهمّ أنّني أعشقكِ حتّى الهذيان. هل الحبّ بات محرّمًا علينا في صحراء عيشنا.

- ولكن يا آدم... افهمني، هذا لا يسمّى حبّا...

- ماذا يسمّى إذن؟!

- هذا يسمّى حُلُمًا موجعًا لن يتحقق.

- لا تقلقي حبيبتي...كلّي رضا أن أبقى نائمًا بذلك الحُلُم الموجع حتى يوقظني الموت.

- لا سمح الله يا آدم... لا تذكر الموت أمامي.

- إذن عديني أن تردّي على رسائلي دائما.

- أعدُكَ...

- وأن تحافظي على المفتاح وسوار الياسمين.
- أعدُكَ... (يا حبيب الروح).
تلك الكلمات الثلاث الأخيرة قالتها في نفسها، وقلبها يعتصره الألم. لن تعترف بحبّها له أبدا... مهما نزفت من الحنين. هكذا عاهدت البحر الشفقيّ، حتى لا يحدث الطوفان.
تزداد التدريبات في الجيش بشكل مكثّف، وعلى الرغم من طلب آدم الالتحاق بالجهاز الطبي هناك، يرفض المسؤولون طلبه ويرسلونه إلى التدريب العسكري...
يبتلع آدم خشونة القائد وتسلّطه الذي يُهيئ الجنود في الثكنات العسكريّة تحضيرا للحرب التي يُتوقّع حدوثها بين لحظةٍ وأخرى. تنفتل عضلاته بفعل التدريب. فيضبح كالجواد الأسود في أرض المعركة المفتعلة، حاملا اشتياقه لأمّه ولعشقه الياسمينيّ.
بالرغم من كلّ الإغراءات التي تمارسها عليه فتيات الجيش. يرفضهنّ بقسوة، ويسرع إلى خيمته لكتابة رسائله المنسوجة بكل حبّ واشتياق إلى حبيبته ياسمين.
تنتظر ياسمين رسائله بفارغ الصبر. وعندما تصلها رسالة منه، تشغل يومها بطقوس العيد قبل أن تقرأها.

يلاحظ أهلها تغيّر نفسيّتها دون أن يعلموا سبب تغيّرها المفاجئ.
يشتدّ مرض أخيها، ويخبرهم الطبيب أنّ كليتيه باتتا لا تعملان، وأنّه بحاجة ماسّة لزرع كلية جديدة.
تعمل ياسمين بالمستشفى كموزّعة طعام في النهار.
وتقضي الليل بجانب أخيها الصغير تعتني به، وتخفّف عنه ألمه.
وعندما ينام، تبدأ بخطّ رسالتها إلى آدم. سائلةً عن أحواله، وتخبره أنّ أمّه بصحّة جيّدة. لكنّها تُضيف له في نهاية الرسالة أنّها في الوقت الحالي ستنقطع عن كتابة الرسائل بسبب سوء حالة أخيها.
تشتدّ الحرب في منطقة الجولان. تصله رسالتها الأخيرة، فيتمزّق قلبه حنينا واشتياقا إليها. "كيف لا أكون بجانبها في هذه المحنة، لو أنّ هذه الحرب الظالمة تنتهي بسرعة... لماذا يا ربي أنا موجود هنا وليس عند حبيبتي...."
يردّ على رسالتها: "انتظريني حبيبتي، سأكون عندك في القريب العاجل، ولتطمئنّي على أخيكِ، سأتبرّع له بكليتي عندما أعود".

اشتدّت أوزار الحرب، وقُتِل عدد كبير من الجنود، وجُرِحَ الكثيرون.
اكتظّ مستشفى نهاريا بالجرحى. وباتت ياسمين تساعد الممرضات في إسعاف المصابين، وقلبها في كلّ لحظة يتضرّع إلى الله أن يكون آدم بخير.
في ليلة الجمعة استيقظت على صوتِ إحدى الممرّضات تهتف لها من آخر الرواق: "ياسمين! أسرعي معي، الطبيب ينادينا لمساعدة أحد الجنود، حالته حرجة".
هبّت ياسمين من نومها حمراء العينين، وأسرعت نحو غرفة العلاج المكثّف، وسهام الشكّ تخترقها من كل جانب. ما إن دخلت الغرفة حتى صرخت "آدم"، و أغمي عليها.
- كيف آدم؟!
سألت الممرّض الذي كان يقيس ضغطها وهي ترقد على السرير ما بين الصحو والإغماء.
- بخير، اطمئنّي! حالته الآن مستقرّة.
لم يطمئن قلبها في تلك الليلة الحزينة. تسرّبت من سريرها دون أن يراها أحد. وظلّت تبحث عن غرفته حتى وجدتها. كان لوحده في غرفةٍ صغيرة، ممدّدا على سريرٍ

أبيض، ورائحة الأدوية واللفافات تغلّفه. ارتعشت عند رؤيته. وخفق قلبها بصوتٍ مرتفع مع كلّ رنينٍ متقطّع للراصد الطبّي. تأملته بدموع البائس المشتاق، مسحت بكفّها المرتجفة على جبينه. وإذا به يهمس وهو مغمض العينين: "ياسمين...ياسمين...".

- أنا بجانبك حبيبي. نعم. أنتَ حبيبي منذ الأزل. لن أخفي حبّي عنك بعد اليوم. ومن بعدنا فليأتِ الطوفان.

عندها فتح آدم عينيه ببطء، وقال بصوتٍ ضعيف:

- هل أحلم؟! ياسمين! هل أنت بجانبي؟!

اغرورقت عيناها بدموع الحزن والفرح، اقتربت من صدره وهمست:

" نعم يا حبيبي، أنا بجانبكَ، وسأظلّ كذلك إلى الأبد"

- الله! هذه أجمل كلمة سمعتها في حياتي...

أغلق آدم عينيه وارتسمت على محيّاه ابتسامة الحلم الطفوليّ التي صاحبها ذلك الرنين المتواصل لدقّات قلبه...

عندها انهارت ياسمين مغشيّا عليها...

وجد الأطبّاء بجانب سرير آدم ورقةً كُتِب عليها:

" وداعًا أمّي الحنون! وداعًا ياسمينتي الغالية! يا حبّي الأبديّ...

أتبرع بكليتيّ لأخيك... كرهت الحرب نعم كرهتها لأنني لا أستطيع أن أكون شريكا في سلب وطنكم فلسطين. ياسمين...أحبّك".

انتهت مراسيم الجنازة، ووقفت ياسمين بعيدة، يحملها طائر الحزن خلف الأشجار الرماديّة.

وعندما اختفت الأنفاس اللاهثة من المقبرة، اقتربت ياسمين من قبر آدم، قبّلته.

وبيديها المرتجفتين حفرت حفرة عميقة في التراب الرطب، ودفنت المفتاحَ الخشبيّ مع سوار الياسمين... وحكاية عشقٍ لم تنصفها السنون.

****

إكسيرُ الخلود[3]

تَجمّدت وسطَ الرمالِ، انغرست كالنخلةِ تُظلّل جسدَ أخيها الطاهرِ من حرِّ الشّمس.
تفجَّرت دموعُ عينِها وقلبِها. دموعٌ انتفضت لكسرِ قضبانِ هواجسِها التي حَبَسَتها لعشراتِ السّنين...
ومازالت تُكَفكِفُها بمنديلِهِ الأبيضِ الّذي أهداهُ لها في مدينةِ الطّفولة.
عبقُ عطرِهِ في المنديل يسترقُها مِنَ الحدث... يُعيدها إلى أرجاءِ بيتِ الرِّسالة...
شتّان ما بين الأمسِ واليومِ... بالأمسِ يحنو عليها بذراعيِّ حميتِه... اليوم تحتضِنُهُ بذراعي الرزيّة...
عَبَقُ الرّيحانِ المنتشرِ معَ هبوبِ الرّمالِ الصارخةِ... يعودُ بها أسيرةً من قافلةِ الذكريات...
دَنَت مِنه... علَّها تستشعرُ بقايا دقات قلبِهِ...
تستنهضُهُ بحُرقةٍ :أخي... قلبي ممزقٌ بينَ أوصالِكَ الطاهرة؟!

---

[3] كتبت هذه القصّة بتاريخ: 2015-01-01
وقد فازت بالمركز الأول في مسابقة مهد الحضارات الأدبية للقصة القصيرة بشهر كانون الثاني 2015 عن (ذكرى مقتل الإمام الحسين)، والتي شارك بها العديد من الأدباء الكبار من أنحاء الوطن العربي.

يا ابنَ أُمّي وأبي وحبيبَ جدّي، إلى من أشكو جروحَ المنايا والبلايا؟! مَن سيطفئُ لهيبَ وطني؟!

نظرَت إلى السّماءِ كأنّها تنتظرُ شيئًا، ثمّ تعطّرت بثيابِ أخيها للمرّةِ الأخيرةِ قبلَ أن يحملُها العدوُّ بعيداً عن جُثمانِه الطّاهرِ.

يكتنفُها العدوّ... يشدُّ وثاقَها... يتباهى بأسرِها... يُمعِنُ في تعذيبها... يُدخلونها باحةَ قصرِ الحاكمِ... يخاطِبُها بعنجهيَّتِهِ المعهودة... يشمتُ بها بجبروتِهِ.

تُدير طرفَها نحوَ إحدى زوايا القصر... تستنشقُ عطرَ أخيها المنبعثِ من رأسِه المنصوبِ على سنانِ الرُّمحِ...تتأجّجُ روحُ الإباءِ في صدرِها...

نزفَ قلبُها مئاتٍ من بناتِ العينِ الثّكلى، فراحت تنهمرُ حُبًا داخلَ قارورةِ الوفاءِ الّتي منحها إيَّاها وهيَ طفلةً صغيرةً، لتمسحَ بها رمالَ الخيانةِ.

عندها رأَت أنَّهُ ما زالَ يتراكضُ بينَ أحضانِ جدِّهِ، يتعبُ ثُمّ يغفو تحت عباءتِهِ. وعندما يستيقظُ، ينظرُ متأمِّلاً وخائفًا على زمرةٍ مِنَ النّاسِ، يتلذَّذُ الجمرُ بأكلِهم .

يستفزّها الحاكمُ بضحكتِه المستهزئة... تفيقُ من حُلُمِها لترمُقَهُ بنظراتها الغاضبة... تنتصرُ لها الكلماتُ والمبادئُ...

تتفجّرُ على لسانِها ثورةٌ أخرى... يلوذُ الحاكمُ ببقايا جبروتِه المنهزِمِ، يستعينُ بعباءةِ مكرِهِ ليغطّي فضيحتَهُ... يندثرُ كلُّ الطُّغاةِ... ويُعلَنُ عطرُ أخيها منتصراً.

****

وعدُ الصبّار [4]

هذه هي رحلتها البكرُ بينَ أحضانِ الطبيعة. كانت تقفز على الحبل المطاطيّ مع أترابها، حين ناداها صديقها "عليٌّ":

- تعالي يا "عليا" نقطف ثمار الصبّار.
- ولكنني أضعتُ فردةَ حذائي.
- لا تقلقي! سأصنع لنا من الجرائد حذاءً، سنصل بهما إلى الحرش بأمان.
- حسنًا! هيّا لنذهب إذن...

انطلق عليٌّ وعليا نحو البراري، تتراقص تحتهما الأرض الملتهبة، فيدفعهما العنفوان الطفوليّ إلى نبذِ قيظِها، وتهطل على أسارير عليا فرحةُ الكشف الأولى، فتنسى آلام رجليها الحافيتين إلا من بقايا جُملٍ وصورٍ لاكتهما الأرض بأسنانها المجعّدة...

أخذ عليّ يقطف ثمار الصبار باحتراف، ويعبئها بسلةٍ من القش، وعليا تنظر إليه باستغراب...

---

[4] هذه القصّة كتبت بتاريخ: 2016- 02- 28
وفازت بالمركز الثاني بمسابقة القصّة القصيرة لمنتدى الديوان ملتقى الأدباء في العالم العربي في شهر أيلول 2016.

- كيف تفعل هذا يا عليّ؟!
- لا تقلقي! لقد أصبحتُ ماهرا بذلك... تعالي واقطفي واحدة...
وما إن نجحت عليا بقطف حبّةِ صبّار ناضجة، حتى وخزها شوكُهُ بقوّةٍ.
شرعت تبكي ولحقها عليّ بجذعٍ مقسومٍ من الصبار تسيل منه مادة لزجة ليبلسمَ جرحها...فأفاقت بعد عشرين عامًا على جرحٍ ما زالَ ينزف خوفًا وهجيرا...
وكلّما سقَت عليا أصيص الصبارِ في شرفة بيتها، اجترحت هذا المشهد من طفولتها لتُحييه في حقائبِ سفرها من جديد... على أمل أن يرجعَ عليٌّ وشجرة الصبّار إلى تضاريس الوطن التي قصّهما الزمن في سخطِ حربٍ تأبى الخمود...
مع انسلاخ فجرِ كلّ يومٍ، كانت عليا تُلقي التحيّةَ على صديقها الصبار وصديقتها الحمامة البيضاء التي بَنَت عشّها فوق الحاجز الخشبيّ للشرفة، والتي لم تنجح كل محاولات زوجها في طردها من هناك. فرجته عليا أن يُبقي الحمامة ضيفةً عندهما، لأنّها في قرارة نفسها كانت تؤمن بحلقة الوصل بين الحقيقة والحُلم...

حيث كانت في طفولتها تحلم حلمًا واحدًا غريبًا كلّ ليلة...خافت منه في البداية، لكنّها تعوّدت عليه مع مرور الأيّام والسنين. كانت تحلم بأنّها تتحوّل إلى حمامةٍ بيضاءَ كلّما ذهبت مع عائلتها إلى بيتِ جدّيها. ثمّ تطير إلى سطح المنزل لتشجنُ من هناك سيمفونيّة الحبِّ والحزن... وبعد أن كبُرت، تقلّصت زيارة هذا الحلم لها...فأيقنت أنّ بروميثيوس يناديها لتتحدّى الظلم ولتشعل معه قبسًا من النور في ثنايا العالم...

في أحد الأيام ناحت الحمامة على غير عادتها، فتوجّس قلب عليا لسماعها ذلك الأنين المختلط بذاكرة الحلم الطفوليّ...

ذهبت لتزاول مهنة التدريس كعادتها كلّ صباح. بعد أن طلبت من طلابها أن يكتبوا موضوعا في التعبير عن "حلم تتمنى تحقيقه في يوم من الأيام"، أبحر بها أنين الحمامة إلى شواطئ الحلم من جديد...

في طريق العودة إلى بلدها عكا، وبينما كانت تقود سيارتها شغّلت المذياع فسمعت مذيعة الأخبار تقول: ".....ولسوء الوضع الأمني بين الطرفين تحذّر اسرائيل سكانها اليهود

خوفًا من حدوث انتفاضة ثالثة...." ونواحُ الحمامة يئنّ كخلفيّةٍ لضياع الأحداث بين فكّي الألم...
أغلقت عليا المذياع وقلبها متوجّس من سماع مرارة الأخبار وهي تقول في نفسها "إلى متى؟!".
عندما اقتربت من بيتها، أعطت إشارةً نحو اليمين لتدخل عبر البوابة الكهربائيّة إلى ساحة منزلها، وإذ بدراجةٍ ناريّةٍ لشرطيّ اسرائيليّ تعترض طريقها من اليمين وتصطدم بمركبتها... عندها حبست أنفاسها، وتسارعت دقّات قلبها وعلا نواح الحمامة، فوخزها الصبّار لتتجمّد الصورة أمامها فجأةً... شرطيٌّ متطايرٌ في الهواء مع درّاجته الناريّة... ودويّ انفجارٍ شديد في حيفا شاهدته من بعيد عندما عزمت هي وصديقتها أن تنزلا من الجامعة إلى منطقة "الهدار" لشراء بعض الثياب...
"هل ستغلفني يا إلهي بعنايتك، كما فعلتَ ذلك اليوم وتنتشلني من الموت المحقق؟!".
ارتجفت عليا وهي تعزّي نفسها بهذا البوح الرماديّ...
ذابت صورة الشرطيّ المتطاير لتسقط على رجله الدراجة الناريّة وتحوّلها إلى مزيج من اللحم والدماء المتناثرة...

تخرج عليا من سيّارتها مسرعةً نحوه ودموعها تجري بغزارة...
الأرضِ تلدُ جنودا وحرابًا تُسلَّط نحوها قبل أن تصل إليه...
يعلو شجنُ الحمامة لينغرسَ في عليا شجرةً ينهشها الصليل ... تعلو الأصوات من حولها "هي حاولت قتله... هي حاولت قتله... أطلقوا النار عليها... لا انتظروا! هي ليست المذنبة ... نعم... بلى... لا"...
وتُنبتُ الحرابُ ذئابًا تنتظرُ إشارةً لتنهش لحمها بكل ضراوة...
يعبرُ الشريط من أمام عينيها بثوانٍ مستعرضا لمسات الحبّ، اللهو والاشتياق والألم... يغزوها صقيعٌ وسط لهيب الصيف، يلفحها بقسوته، يجمّدها ويشعلها في آنٍ واحد دون أن يكسرها ...
عندها يستفيقُ الشرطيّ من غيبوبته ويصرخ: "أنا المذنب! أنا المذنب!"
دون أن تنبسّ ببنت شفة، تحملها دموعها نحو ضريح بروميثيوس وتبتسم ...
فقد سمع عليٌّ شجنَ الحمامةِ وأتى ليُبلسم لعليا جراحها بلمسةِ صبّارٍ طفوليّة...

لهيبُ الصمت [5]

على ثنايا الأرضِ الملتهبةِ في ذلكَ الشارعِ الحزين، تناثرَت دماؤها الطاهرة كورقِ الخريف. بعدَ أن أنقذَت ابنَها الصغيرَ من أنيابِ سيارةٍ مسرعةٍ، لم يبالِ سائقُها بمَن يمارسُون حقّهم في العبور.

أحاطَها الجميعُ بنظراتِ الذهولِ والشفقةِ وهي تحتضنُ ابنها الوحيد "رفيق" الذي انتظرته طوال عشرين عاما.

والتي ما لبثت أن فرحت بقدومه مع زوجها العجوز، حتى تركها أرملةً تعكف على تربيةِ آخرِ من تبقّى لها من شجرةِ عائلتها المهدّدة بالانقراض.

على الرغمِ من فقرها وقلّة حيلتها، احتضنت ابنها بكلِّ حبٍّ وحنان وكانت عالمه الوحيد الذي لا يخشى نوره ولا يهابُ نظراتِهِ. ذلك العالم الذي تصدّعَ مع ابتسامتهِ

[5] هذه القصّة كتبت بتاريخ: 2016- 11- 25 وفازت كأفضل قصّة بمسابقة مبدع العرب بالقصّة القصيرة (12\2016) التابعة لمنتدى الديوان ملتقى الأدباء في العالم العربي.

البريئة التي مارسها بصمتٍ كعادته نحو والدته التي بادلته ابتسامتها الأخيرة، وأسلمت الروح إلى بارئها...

بجسده الضخم ووجهه الطفوليّ الكبير كنتُ ألمحه كلّ يومٍ عند ذهابي إلى العمل والعودة منه. كان رفيق يهرول ذهابًا وإيابًا في ذلك الشارع المزدحم بالسيارات والقريب من بيته. كان ينتظرُ مرور السيّارات بلهفةٍ عند ممرّ المشاة حتّى يتسنّى له العبور بكل فرح بين جزيرتي الشارع الملتهب مرارا وتكرارا...

كان يُصدِر أصواتًا غير مفهومة، كما يخاف أن يتواصل مع أحد، سوى جاره الأستاذ "نديم" الذي عطف عليه بعد وفاة أمّه، وصار يُحضر له الطعام والملابس.

كنتُ أراقبه من بعيد. في البداية استغربتُ تصرّفه، ولكن مع مرور الوقت تعوّدت رؤية تلك اللوحة التي تأبى الانكسار... فعندما كان يمارس رفيق ذهابه وإيابه طيلة النهار على نفس الشارع، ومع وصوله لحافة الرصيف في كل مرّة، كان يلوّح مسرورا بهذا النصر العظيم وكأنّه حقّق هدفا في شِباك الموت ... حتّى في أيام

الشتاء القارسة جدا كان رفيق يمشي ذهابا وإيابا في هذا الشارع من أوّل طلوع الشمس وحتى غروبها ...

نعته جميع الناس بالجنون، لكنني على الرغمِ من "توحّده"، كنتُ أراه بطلًا أسطوريًا يسابقُ صرخة الشارع الذي لا يهدأ، ويحمل درعًا من عزمٍ وإصرار ينقله إلى توهّج النور الذي كان يلمحه في رفيقته الوحيدة فهو يشتاق إليها ويتمنى رؤية طيفها عند ذلك الشارع الحزين ...

في أحد الأيام الماطرة بعد أن عدتُ من العمل لم أرَ رفيقًا يعبر الشارع كما يفعل كلّ يوم. فلم أتردد، وساقتني خطواتي نحو بيت الأستاذ نديم لكي اطمئنَ على رفيق.

طرقتُ باب بيته، فخرج الاستاذ نديم ووجهه مغمور بالدموع ... قلتُ له: "جئتُ أسألَ عن رفيق يا أستاذ نديم، فلم ألمحه اليومِ في الشارع"، أجابني:

"آهٍ يا بنيّتي ... توفي رفيق اليوم متأثرا بجراحه بعد أن صدمته سيارة مسرعة في ذلك الشارع، وعندما أخبرني الناسُ بما جرى، أسرعتُ إليه وحضنته بقوةٍ، فإذا به يبتسم وهو ينطق للمرّة الأولى والأخيرة: أمي...أمي...أمي".

صلاة [6]

تائهةٌ في صحراء المحن، تلفحها رياح الخيانة من كلّ حدبٍ وصوب. تعدو نحو لا مكان حافية القدمين، وفوق فستانها الأسود تضع وشاحًا نُسجت خيوطه من جراح الوطن. ذلك الوشاح الذي يأبى إلّا أن يرافقها إلى كل مكان. ربما بات لها صديقا أيضا في مشوار الهروب من وحوش البشر.

تلهثُ جمرًا يُحرق قلبها، وفي عقلها دوامةُ ذكرياتٍ وأفكار تلسعها مع كلّ شهيقٍ وزفير، فتنزف دموعًا وآهاتٍ تمتطي صهوة الرحيل ...

ظلّت تمشي بخطواتٍ نازفة ضائعة حتى وصلت إلى البحر.

قرّرت عناقه علّه يطفئ ذلك اللهيبَ إلى الأبد.

[6] هذه القصّة كتبت بتاريخ: 8.12.2018

بعد أن باتت لطيمة، وفقدت الحنان والأمان، كان
حبيبها آخر من عقدت عليه آمال الوفاء في هذا
الزمن، لم تتوقع يوما أنه سينهش قلبها بأنياب الغدر
والخيانة.

بالأمس كان يُحييها برحيق نبضاته أما اليوم فقد أشعل في
قلبها حريق الأحزان...

كانت ملاكه في برجهما العاجيّ، والنور لعشقهما الوليد.
كانا يطيران معًا كلّ ليلة نحو زمن الحب القديم. هناك ينثر
طوق الياسمين على شعرها المسافر إلى مدن الأشواق.
يلتحفان بعباءة العشق الخفيّة، فيحلّقان روحًا واحدةً
وسط السحاب كفراشةٍ لامست نور الجنان.

بالأمس كانت ورديّة الثغر، مشعّة العينين والفكر، تعدو
نشيطة توزع البسمات على من حولها. ومن فيض حبّها
أصابت العدوى كلّ من رآها ... أمّا اليوم فقد انطفأ نور
قلبها فانكسرت، تبعثرت، احترقت، نفضت الرماد ثم
لملمت ما تبقى منها وأسدلت الستار على كل البشر...
خلعت وشاح الوطن على شاطئ البحر.

لأول مرة لا يرافقها، لا يلتصق بها، لا يشمّ آهاتها ولا يواسي عطر دموعها.. احتلّها الغروب في الأفق فجرت نحو الشمس علّها تمتزج بها فتبتلعها. غرزت أملاح البحر جراحا فوق جراحها، لكنها لم تصرخ لأنها لم تعد تهتم .... وستنهي كل آلامها بعد لحظات.

وفجأةً! سمعت نعيق أحد طيور النورس الذي أخذ يحلّق فوق رأسها ويصدر أصواتًا معاتبةً. سمعتها ولكنها لم تبالِ، لأنّها منشغلةٌ في الرحيل ....

رجع النورس إلى الشاطئ ثم عاد إليها يحمل وشاحها الذي تخلّت عنه، طار به قليلا فوقها بحلقاتٍ دائرية، ثم قذفه نحوها وحلّق مسرعا نحو ضوء القمر.

التقطته وانشغلت عن الرحيل وفي قلبها ألف سؤال...

بعد لحظات تسمّرت كالمرساة في البحر حين رأت طيفيّ والديها يعانق السماء بابتسامةٍ ملائكيّة.

- "نور" هل ستبقين نورًا لمن حولك، أم ستنطفئين عندما تحتاجكِ نفسكِ لتنيري دربها من جديد؟!

- يا أبتِ! هذا العالم باتَ موحشًا، تستوطنه الوحوشُ فقط... كيف لي أن أعيش فيه... قولي لي يا أمي... كيف لي أن أعيش بعالمٍ يسري في دمه النفاق والخداع والخيانة؟!

- يا بنيّتي! لا تخافي ولا تحزني، إن الله ما أحزنك إلّا ليسعدك وما ابتلاكِ إلّا لأنه يحبّك... فقولي الحمد لله!

- الحمد لله دائما وأبدا...آه يا والديّ! لقد تجرّعت الحنظل بعد استشهادكما في حرب الظلام، لو استطيع أن آتي إليكما ونجتمع إلى الأبد...

- اصبري يا قرّة عيوننا، لديكِ رسالةٌ في الحياة ينبغي أن تؤدّيها... إنّ الله معك، فلا تجعلي سيف الغضب يقطع الحبل الذي مدّه الله إلى قلبك المتوهج بالحب والعطاء.

سقط شهاب وسط البحر، تبسّم القمر وانفرجت أسارير النجوم عندما عانقت نور والديها لأوّل مرة بعد رحيلهما، تعطّرت بهما، ثمّ أغمضت عينيها وهدير البحر يحتضنها وسط ترانيم السماء...

"الله أكبر...الله أكبر..."

أفاقت نور وهي تعانق الوشاح من إغفاءة رحلتها النورانية على صوت أذان الفجر، وهو ينصبّ في أذنيها ويسري إلى قلبها وعقلها كبلسمٍ من روح الله.

توضأت بمياه اليمّ، فتساقطت الآهات من الجروح، وتطهّرت الروح للقاء بارئها.

افترشت الشاطئ بوشاح الوطن وأقامت الصلاة ...

هناك استحضرت عظمة الخالق وسافرت إلى عالم آخر، عالم استنار العقل والقلب فيه، واستقامت الجوارح... من أعماق أعماقها أخذت تناجي الله مع قيثارة أنفاسها ... ومع كل تسبيحة، وآية انسكبت دمعة طهّرت بها قلبها المكلوم ... رقّ الفؤاد وتدفق الدم بلذة المشتاق حتى الأطراف، نبتت أجنحتها فطارت محلّقة نحو رائحة الوصال حطّت العصافير على كتفيها، لكنها لم تلحظ ذلك لأنها عاشقة، غارقة، ذائبة حتى النخاع في صلاتها. وفي الختامِ رفعت يديها وبدموعٍ طاهرة إلى السماءِ تناجي الرحمن:

"لا إلهٰ إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. يا حيّ يا قيوم برحمتك استغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى

نفسي طرفة عين ... اللّٰهُمَّ طهّرني من الذنوب والخطايا ونقّني منها كما يُنقّى الثوب الأبيض من الدنس ...

الحمد والشكر لك يا حبيبي يا الله حمدًا مباركا طيبا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ... أحمدك ربي أن انتشلتني من بئر الضلال وأرسلتني إلى بر الهداية والأمان. أنا الفقيرة إليك أنا المحتاجة إليك لا تتركني وحيدة، في عالم الزيف والهوان... من لي غيرك يا الله ... كن معي دائما وأبدا وابعد عنّي كيد الكائدين وظلم الظالمين ...

اللّٰهُمَّ ظللني بظلك في الدنيا والآخرة. وساعدني في تأدية الرسالة والحفاظ على الأمانة... إليك ربّي يرجع الأمرُ كلّه، عليك توكلتُ وإليك المصير..."

بعد الصلاة لملمت نور نفسها، لفّت الوشاح على صدرها، مشت إلى البعيد وفي قلبها تصدح أغنية وطن.

****

الجوافة الحمراء [7]

- أَنَّى لَكِ هَٰذَا يا حبيبتي؟

- هُوَ مِنْ عِندِ اللّٰه...

وقفت هناك امرأةٌ خريفيّةُ العمر، سمراءُ شعثاءُ رثّة الثيابِ، تربط على خصرها حقيبةً بيضاءَ يبدو أنها قد صنعتها بنفسها. وبيدها رفعت عصا خشبيّة لمكنسةٍ تالفة...

كم أعشق أيلول وتشرين الأول من كل سنة. في أيلول يهطل المطر الأول فتنتعش التربة وتخرج منها أجمل رائحة تدغدغ أنوفنا، وتعبق في نفوسنا لتغسلها من بقايا قصص الصيف الحزينة، فتتجدد فينا الأمومة وتشتعل سواعد العطاء.

بعد المطر الأول تسمنُ حبّات الزيتون لتجهّزَ نفسها لموسم القطاف في تشرين... وتنضج أيضا ثمار الجوافة، والجوافة أحبّ الفاكهة إلى قلبي وقلب طفليّ الصغيرين فريد

---

[7] هذه القصّة كتبت بتاريخ: 20.12.2018

ومحمد... فكل عام ننتظر هذا الموسم بفارغ الصبر لنحتفل بشجرة الجوافة الحمراء التي تفترش حديقتنا كعروسٍ بكامل الزهو والبهاء.

ولقطف الجوافة عندنا طقوس لا بدّ منها كل يوم بعد الرجوع من المدرسة. حيث يرمي فريد ومحمد حقيبتيهما تحت شجرة الجوافة ويتسلقان أغصانها. أما هي فتحتضنهما كالأم الحنون المشتاقة، وتقذفهما من غصنٍ لآخر فرِحَةً باللعب معهما.

أراقب الشقيين بشغف وابتسامة طفولية ترتسم على وجهي لأنّهما يذكّراني بشقاوتي عندما كنت صغيرة، وكنت أحبّ تسلّق الأشجار في حقل جدي رحمه الله.

وهنا يحتلّ فريد منصب القائد ويوزع المهام علينا...

- ماما ارفعي راسك لفوق وشوفيلي مين من الجوافات مستوية مش عجرة عشان أقطفها.

ويصيح بأخيه محمد: انزل عن الشجرة، وحط بكنزتك من قُدام الجوافات اللي برميلك اياهن.

على الرغم من أنّ عملية القطاف لا تستغرق سوى دقائق معدودة، ولا تعطينا سوى ثلاث أو أربع حبات ناضجة، إلّا أنّ فرحة عارمة تعترينا أثناءها، كالحصول على هدية مميزة في العيد.

ذات يوم بعد أن أوقفتُ السيارة في موقف البيت داخل الحديقة لمحتُ وأطفالي شخصا غريبا يقف تحت شجرة الجوافة...

هي المرأة السمراء الشعثاء تمسك بيدها العصا وتضرب الأغصان فتتساقطُ ثمار الجوافة على الأرض.

عندما رأتنا نقترب منها تسمّرت في مكانها، أنزلت العصا، خبّأتها وراء ظهرها وبدأ العرق يتصبّب منها بغزارة...

جدار حديقتنا عالٍ، والبوابة الكهربائية لموقف السيارات مغلقة، إذن كيف دخلت هذه المرأة المتسولة إلى هنا... صرتُ أتمتم بغضب، وأنفاسي تشتعل وتحضّر نفسها كي توبّخ تلك المرأة.

- أيّتها اللصة ماذا تفعلين، هذه شجرتنا لنا وحدنا... كيف سمحتِ لنفسك أن تسرقينا؟!

اذهبي من هنا قبل أن أتصل بالشرطة... هيا اذهبي

ولا تعودي!

كانت تلك الجمل تضج بعقلي قبل أن ينطق بها لساني. ولكن رنين قلبي أرسل رسالة عتاب "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (الروم:37). عندها التفحتُ بالدموع وصرتُ ألوم نفسي... يا إلهي ما الذي أفعله؟!

- ماما ماما ... صيحي بهذه المرأة كي تذهب من هنا، تسرق جوافتنا.

- لا بأس يا طفليّ! هذه الشجرة كانت مزروعة هنا قبل أن ننتقل إلى بيتنا الجديد... ويجب أن نفرح لأننا جعلنا هذه السيّدة تتذوق الجوافة الحمراء فهي لذيذة... واعلما أنّ هذه الشجرة كباقي الأشجار والمخلوقات ملكٌ لله وحده، وهو بمحبّته لنا سخّرها إلينا.

انفرجت أسارير المرأة عندما رأتنا نبتسم ونلوّح لها بأيدينا متجهين نحو البيت.

أمّا في اليوم التالي بعد عودتنا من المدرسة فقد صُعقنا لهول ما رأينا... لوحةٌ ربانيّة من الجنة تخطف الابصار...

شجرة الجوافة ممتلئةٌ بثمارها الناضجة، وحبّات مثلها متناثرةٌ على الأرض أيضا.

فرحنا جدا لجمال ما رأينا... وبأقل من نصف ساعة ملأنا سبعة أوعية كبيرة.

- سنوزع منها على العائلة يا أمي... هتف فريد متشوقا.

- وعلى الفقراء والمساكين... صاح محمد.

- طبعا طبعا يا طفليّ... الحمد لله، هذا بفضله وحده.

"وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (العنكبوت : **61**)

وعند عودة زوجي من العمل، ذُهل لما رأى وقال لي:

- أَنَّى لَكِ هَٰذَا يا حبيبتي؟

- هُوَ مِنْ عِندِ اللَّه...

الأرض الحرام [8]

في الليل اللائل يتسلّل الصقيع من ثقوب الخيام، ليحفرَ ملامحه في كوم لحمٍ التصق بآخر ما تبقّى له من جسدٍ غلّفته حرارة الدموع. يزأر الرعدُ فتعوي بطونهم، ترتعد أوصالهم وتصطكّ أسنانهم غازلةً سيمفونيّة البرد بالشقاء.

تلك السيمفونيّة يُباغتها صريخ الرضيع عندما تجفّ ينابيع النهدين.

حتى طعم كسرة الخبز التي اقتسمتها الأم مع طفليها منذ يومين ضاع في حلوقهم واحترق في بطونهم.

تتعالى صرخات بكاء الرضيع من شدّة الجوع وتزداد ثقوب الخيمة بالاتساع... يسكت للحظات من التعب، ثم يعود ليبكي من جديد ويستجدي حليب أمه المنقطع. تحتضنه أمه بحرقة وتبكي هذه المرة بلا دموع.

[8] هذه القصّة كتبت بتاريخ: 24.12.2018

حتى بنات العين الساخنة جفّت من المآقي. وتركت البردَ ينهشُ في جسد الأم والأطفال.

- هيّا بنا يا حسّان فلنذهب للبحث عن بعض الماء والطعام، علّنا نجد لأمي ما تسدّ به جوعها كي ترضع أخانا الصغير محمد.

هذا ما همس به نوّار ابن العاشرة لأخيه حسّان الذي يصغره بثلاثة أعوام مستغلا غفوة أمه وأخيه الصغير.

عانق نوّار أخاه حسّان ثم خرجا من الخيمة يشقّان الصقيع بجسديهما الضئيلين بحثا عن بعض الطعام والشراب.

بين أشجار الزيتون أُفترِشت آلاف الخيام المرقّعة بالبرد والحرمان... خيامٌ غزاها الجوع والنسيان في مخيّم أطمة للاجئين السوريين.

هناك على حافة الوطن المنسيّ يتزاحم أكثر من مئتي ألف لاجئٍ سوريّ -جزءٌ كبيرٌ منهم فلسطيني الأصل- توزعوا على اثنين وعشرين مخيّما أقيمت بشكلٍ عشوائي على خط الحدود التركيّة السوريّة حيث أجبرتهم الحرب في سوريا على ترك أوطانهم ومغادرة منازلهم للتمسّك بخيط حياة في

مخيّمات اللاجئين تحت ظروفٍ صعبة وأوضاعٍ مزرية. فهم لا يستطيعون العودة إلى ديارهم ولا يجدون لأنفسهم

أماكن أخرى آمنة. وتجدهم يواجهون العديد من الصعوبات والنقص الشديد لاحتياجات الحياة الأساسيّة.

مخيّم أطمة هو أحد هذه المخيّمات التي تحوي آلاف النازحين في ريف إدلب. حيث تمّ انشاؤه على مسافة 15 كم من بوابة باب الهوى (جيفة غوزو) الحدودية قرب بلدة الريحانيّة (ريحانلي) التابعة لولاية هاتاي التركيّة. يحصل المقيمون في المخيّم على احتياجاتهم الأساسية، من المساعدات الخارجية التي تأتيهم كل أسبوع أو أسبوعين من المؤسسات الانسانية. ويقيم أصحاب الوضع المادّي الجيّد نسبيّا في غرفٍ من الطين بنوها بأنفسهم، بينما يكافح الفقراء منهم من أجل البقاء على قيد الحياة

في الخيام.

أطفالٌ وجوههم مشعّة بالنور، ثيابهم مرتّبة ونظيفة. تغمرهم أحضان والديهم بالحبّ والحنان... تارةً يدرسون وتارةً يأكلون الحلوى دون خوفٍ أو ملل ... يلعبون

بألعابهم الدافئة وسط حكايا الجدّة التي تسافر بهم إلى عالم البطولة... وهناك تجد المغامرين يتحدّون أحلام المستحيل لتصبح خيولا تعدو معطّرةً برياحين الوطن.

تلك اللوحة البهيّة نهشتها ذئاب الحرب، استبيحت الدماء ولوّثت المياه بسم الأفاعي... تشرّد الأطفال اليتامى والنساء الثكالى وبعضُ الأجسادِ التي بقيت على قيد شهيق وزفير.. ومنهم من بقي وحيدا فاقدا لكل أفراد عائلته في الحرب، انفجر الوطن بصرخات الألم والبكاء ودفنت أحلام الأطفال الورديّة في بئرٍ من الشقاء...

بردٌ وصقيع، عواصفُ مطريّة تجتاح المكان فتغرق الخيام في الطين ويمسي العديد بلا مأوى... سوء التغذية، الربو والحمّى، أمراضٌ تكتسح المكان... أطفالٌ يصرخون من شدة الألم والبرد. ومن وجد منهم صندوقا كرتونيا يتكوّر فيه كأنّه وجد بيتا يحنّ عليه بقليل من الدفء وشيءٍ

من النوم.

أمّا مخاض الأمهات الحوامل فيخجل أن يزيد فوق ألمهم ألما ومع كلّ صرخة مخاضٍ تتفجّر حياةٌ كُتب لها الشقاء.

يمتدّ افتراس الذئاب، وكأنّ الحرب في الوطن لا تكفي. إذ يحتدّ النزاع والقتال حتى يطال المخيّم عدّة صواريخ من العمليّات العسكريّة بين الجيش التركي والقوّات الكرديّة من جهة، وتنظيم داعش من جهة أخرى على الحدود السورية التركيّة. فيلقى بعض اللاجئين في مخيّم أطمة مصرعهم وأغلبهم من الأطفال.

عائلاتٌ بريئة سلختها الحرب عن وطنها، لتلجأ إلى نزيف عذابٍ لا يرحم... هنا يفقد اللجوء معناه وتصبح كل الأراضي محرّمة على الإنسان في زمن انعدم فيه الضمير واندثرت فيه الإنسانيّة والعدالة من الوجود.

وعندما يُسدل الليل ستاره على المخيّم تتوه النجوم كلّما أعلن الشيخ عن صلاة جنازة...

كل تلك المشاهد يسترجعها نوّار وحسّان في رحلة بحثهما عن الطعام والشراب وسط المخيم... يمشيان في ظلمة المكان، بردٌ وجوعٌ يلتهم جسديهما الهزيلين... ساعتان من البحث لم يجدا فيها حتى الفتات، فحال الناس في الخيام ليس أفضل من حالهم.

حسّان يبكي ويقول لأخيه: لا أشعر برجليّ من شدّة البرد.

عندها أجلس نوّار أخاه على أحد الحجارة الكبيرة، دلّك له رجليه لكي يبعث بهما بعض الحرارة وعندما انتهى

قال له:

- لنا الله يا أخي... هيّا بنا لنرجع إلى خيمتنا. على الأقل إن متنا سنموت في حضن والدتنا.

وما أن همّا بالرجوع إلى خيمتهما، حتى سمعا فجأةً صوت عجوز تبكي بجانب خيمتها، ولمحاها ترفع يديها إلى السماء وتقول:

- خذني إليهم يا الله.

ذهب حسّان ونوّار إليها، اقتربا منها ثمّ قال لها نوّار: لماذا تبكين يا جدّة؟

- آهٍ يا ولديّ! منذ يومين توفي آخر أحفادي هنا، وفي الحرب فقدتُ جميع أفراد عائلتي... لم يتبقَّ لي أحدٌ سوى الله. مسحت الجدّة دموعها، وأردفت قائلةً: وأنتم يا أحبّائي، ما الذي يجعلكما تسيران لوحدكما في الليل؟!

وعندما قصّ نوّار وحسّان عليها قصتهما، حضنتهما العجوز بقوة، دخلت إلى خيمتها لبرهة ثمّ خرجت محمّلةً بقطعة قماشٍ فيها بعض الخبز والتمر وزجاجتيّ ماء، وملابس طويلة لأطفال صغار وغطاء للنوم.

- خذا هذا الطعام، هو كل ما تبقّى لي. وهذه الملابس كانت لأحفادي رحمهم الله، و...

وقبل أن تنهي حديثها، قاطعها نوّار قائلا:

- ما رأيك يا جدّتي أن نساعدك في جمع أغراضك ثمّ تأتين للعيش معنا في خيمتنا. عندها اغرورقت عينا العجوز بالدموع وقالت: لا يا بنيّ! لا أريد أن أزيد الحِمل عليكما وعلى والدتكما.

قال حسّان: بالعكس يا جدّتي سنكون عائلة واحدة نساعد بعضنا بعضا.

وعندما وافقت الجدّة العجوز على ذلك الاقتراح، حمل نوّار وحسّان معها باقي أغراضها، وعادوا إلى خيمتهم. عندما رأتهم الأم فرحت بعودتهما بعد أن كانت تبكي خوفًا عليهما حين استيقظت من غفوتها ولم تجدهما بجانبها.

رحّبت بالجدة وشكرتها على حسن أخلاقها، وقالت لها: منذ الآن أنت أمي وجدّة أطفالي. وسنساعد بعضنا دوما...

والحمد لله على كلّ حال.

أسكتت العائلة عطشها وجوعها بالماء والطعام الذي أحضرتهما الجدّة معها. التحف الرضيع صدر أمه ورضع من عرقيها اللذين دبّ الحليب فيهما من جديد.

"ويمّر بي طيفها

وتسكن الأحلام

جميلةٌ وأحبها

واسمها شام"

- أبي هيّا أسرع... نحن ننتظرك في السيارة... لا تبحث عن لعبة حسّان الآن. في المذياع يتحدثون عن قصفٍ قريب لبلدتنا... هيّا أسرع!

- حسنا يا بنيّ، إنّي آتٍ إليكم.

فجأةً صُمّت الآذان برعد الصواريخ التي أشعلت الدماء، النيران والدخان. وأغنية شامٍ تتراقص في المكان.

استفاق نوار من حلمه مفزوعًا باكيًا بعد أن غفا على صخرةٍ صمّاءَ أحنّ عليه من قلوب البشر.

أخرج من جيبه صورة والده التي تلازمه أينما ذهب. قبّلها وعيناه تذرفان الدموع بغزارة. مسح دموعه بذراعه، نادى على حسّان الذي كان يلعب في بركة الوحل مع أترابه من أطفال المخيّم... اقترب منه وهمس له:

- الليلة كما خططنا...

- حسنًا يا أخي.

"أمي الحبيبة! عندما تقرئين هذه الرسالة سنكون قد رحلنا عن المخيّم... سنبحث عن عمل كي نحضر لك الطعام والملابس الجديدة... لا تقلقي علينا يا أمي... سنرجع قريبًا. نحبّك جدا....نوّار وحسّان".

قرأت الأم الرسالة ودموعها تنساب بحرقة على وجنتيها، قلبها سينفجر من الحزن والخوف عليهما.

- آهٍ يا طفليّ الصغيرَين أين ذهبتما؟! كيف سيغمض لي جفنٌ وأنتما لستما بجانبي.

رأتها الجدّة على هذه الحالة، اقتربت منها وعانقتها ثمّ قالت لها:

- لنا ولهما الله يا هناء... سأدعو الله أن يحفظهما ويرجعهما إلينا سالمين.

في تلك الليلة المقمرة رحل نوّار وحسّان عن المخيّم وهما يرتديان ملابس أحفاد الجدّة المرقّعة فوق ملابسهما المهترئة. وفي حقيبة ظهر حسّان ثمرتان، رغيف خبزٍ وزجاجة ماء. خرجا من المخيم وأخذا يمشيان مسافة طويلة في السهول. الخطر يحيط بهما في الليل الحالك، أصوات الذئاب والضباع تجتاح المكان. يخاف حسّان ويبدأ بالبكاء. عندها يضع نوّار يده على فمّ أخيه ويهمس له:

- كن شجاعا ولا تخف...اقتربنا من الوصول.

أمسك نوّار بيد أخيه وأسرعا الخطى حتّى وصلا مزرعة قطنٍ تتوسطها لوحةٌ خضراءُ كُتِب عليها بالعربية

والتركيّة "الريحانيّة ترحّب بكم". قطف الطفلان بعض القطن وحشواه داخل ثيابهما وحذاءيهما حتى شعرا ببعض الدفء. افترشا الأرض والتحفا السماء، ثمّ ناما كالقتيلين من التعب.

في الصباح استيقظ نوّار مذعورًا، إذ أنّه لم يجد أخاه حسّان بجانبه... صرخ مناديا باسمه، لكن ما من مجيب. خاف عليه ولام نفسه: "أنا السبب، من المؤكد أنّه اختطف أو حلّ به مكروه ما..."

مشى نوّار في المزرعةِ تائه الخطوات محترق القلب، باحثًا عن أخيه الصغير... وبينما هو كذلك وإذ بشيءٍ يهجم عليه من الخلف ويطرحه أرضًا، ثمّ ينفجر من الضحك...

- ماذا تفعل أيّها الشقيّ... وأين كنت؟! لقد خفت عليك كثيرا.

عانق حسّان أخاه نوّار ثم أعطاه زجاجة حليب.

- خذ اشرب... إنّه طازج... الآن حلبته من البقرة.

- من أين لك هذا وكيف؟!

- لا تقلق! لم أعد صغيرا... استيقظتُ قبلك ورأيتك ما زلتَ غارقًا في النوم. فقلتُ في نفسي: سأبحثُ عن طعامٍ ريثما تستيقظ... مشيت ومشيت وسط مزرعة القطن، وفي نهايتها وجدتُ بوابةً حديديّة عالية ذهبية اللون. وبجسدي الهزيل نجحت بالتسلّل منها، وهناك رأيتُ العجب.

- صاح نوّار متلهّفا: أخبرني ماذا رأيت؟

- رأيتُ قصرا فخما كبيرا حوله أشجار كثيرة من الفاكهة... حظيرة أبقارٍ وأغنامٍ، واسطبل خيولٍ يتوسطان حديقة القصر الشاسعة. لكنني لم ألمح إنسانًا هناك. عندها انتهزتُ الفرصة دخلتُ الحظيرة وحلبتُ إحدى البقرات، ثم وضعتُ الحليب في زجاجة الماء الفارغة التي كانت معي... وجئتُ إليك مسرعًا. بعدما شربا الحليب الطازج، قال حسّان لأخيه: هيّا بنا نرجع لحديقة القصر، نقطف بعض الثمار لنسدّ بها جوعنا.

- وإن أمسكَنا أحدهم؟

- لا تخف لن يحصل لنا شيء.

- هيّا بنا إذن... صاح نوّار.

ركضا مسرعين إلى هناك، تسلّلا من البوابة ثمّ تسلقا شجرة التفاح، قطفا بعض الثمار وأخذا يأكلانها بنهم. لكنّ صراخ رجل كهل يتقدمه بطنه العريض أفسد متعتهما في الأكل.

- ماذا تفعلانِ هنا أيّها السارقان؟! انزلا فورا عن الشجرة...

نزل نوّار وحسّان عن الشجرة وهما يرتجفان خوفًا.

- أرجوك يا عمّ لا تسلّمنا للشرطة.

- أيّها اللصان سآخذكما إلى مشرف القصر وهو سيسلمكما بنفسه إلى الشرطة.

أدخل الحارس الطفلين إلى داخل القصر ثمّ نادى على المشرف هناك:

- يا عبد الرحمن! تعال وانظر ماذا سنفعل بهذين السارقين اللذين وجدتهما يسرقان التفاح من الحديقة.

ما هي إلّا لحظات حتى جاء المشرف. عندها أصابت الدهشة الطفلين ليس لفخامة أثاث القصر وتحفه الجميلة، وليس خوفا من مصيرهما الآتي... انّما للصاعقة التي نزلت أمام عيونهما. نفضا نفسيهما من يد الحارس وأخذا يتراقصان حول مشرف القصر ويردّدان بغبطةٍ وفرح: أبي ... أبي مازلتَ حيّا... الحمد لله ... الحمد لله!

استغرب الحارس كلامهما، كما حملق المشرف مندهشا بإنكارٍ مزّق فرحة الطفلين. حيث قال لهما: من أنتما؟! وماذا تريدان؟! أنا لا أعرفكما ...

وأردف الحارس ساخرا: ليسا سارقين فقط بل

محتالان أيضا.

عندها أخرج نوّار من جيبه الصورة وتوجّه نحو أبيه قائلا:

- كلا... انظر يا أبي انّها صورتك معنا، نحن عائلتك... أمي وأخي الصغير تركناهما في المخيم وجئنا للريحانية بحثا عن عمل.

نظر عبد الرحمن باستغرابٍ إلى الصورة وقال في نفسه: يا الهي! كم يشبهني هذا الرجل... كيف حدث هذا كيف؟!

هنا همّ الحارس بإخراجهما من القصر... لكن مشهد الدماء، والدخان الصراخ والبكاء والركام عاد ليظهر أمام عيني المشرف عبد الرحمن. هذا المشهد يعود ويراوده في الصحو والأحلام كل فترة من الزمن.

أغمض عينيه ثم فتحهما بسرعة معترضا الحارس ومشفقا على الطفلين.

- دعهما لي، سأبحث في أمرهما جيدا... هما طفلان صغيران بلا مأوى. وأنا سأستأذن صاحب القصر الأستاذ سالم كي يعملا هنا في المزرعة فترةً بسيطة، وسينامان في القبو الصغير أسفل القصر.

عندها رمقهما الحارس بنظرة سخط، واختفى من المكان. بينما أعدّ لهما عبد الرحمن طبقين من الطعام.

- هيّا يا صغيران! كُلا كل هذا الطعام... انه لذيذ لقد صنعته بنفسي فأنا طباخ ومشرف هذا القصر.

شكره نوار وقال له: من المؤكد يا والدي أنّ طعمه لذيذ... لقد كنت أشهر الطباخين في الشام.

استغرب عبد الرحمن ما قاله الصغير، دمعت عيناه، ابتسم لهما، ثمّ قال في نفسه:

أيعقل أنني الشخص الموجود في الصورة، أيعقل أن تكون لي عائلة...ماذا عن الشبه الواضح بيني وبين الصغيرين؟! لا أدري... ساعدني يا الله لمعرفة الحقيقة... قلبي رأف لهذين الطفلين الجميلين، ولكن لا أدري إن كنت والدهما حقا.

- ما به والدنا لا يتذكرنا، ولماذا ناداه الحارس بعبد الرحمن وهو اسمه نعيم... ما الذي يحدث يا نوّار؟!

قال حسّان لأخيه وغصّة تخترق صدره: لا أدري يا حسّان، ولكن أشكّ أنّ والدي قد نجا من براثن الحرب وفقد الذاكرة دون أن نعلم عنه شيئا... سنة كاملة كنّا نعتقد أنّه استشهد في الحرب. ولكن في نفس الوقت أخاف أن يكون هذا الشخص ليس والدي، انّما يشبهه فقط... ولكن اتمنى أن يكون هو والدنا.

- وانا أتمنى ذلك أيضا...

مرّت أيام وليالٍ اجتهد بها نوّار وحسّان في عملهما بالمزرعة وباتا صديقين للمشرف عبد الرحمن وللحارس أيضا... كما أحبهما الأستاذ سالم وعائلته وأشفق عليهما كثيرا عندما حدّثه عبد الرحمن بما جرى، وأراه الصورة.

ذات يوم نادى سالم عبد الرحمن ليتحدّث معه في موضوعٍ هام. تنهّد ثمّ قال: اعتقد أنّ ما يقوله الطفلان صحيح يا عبد الرحمن... الله رؤوف رحيم بالعباد والدنيا صغيرة يا أخي... أتذْكُر قبل سنة وجدتك ملقًى على أرض مزرعتي والدماء تسيل منك. عندها أشفقت عليك، جلبت لك الطبيب وآويتك في منزلي، وأنت لم تتذكر ما الذي حصل لك. وأنا الذي سميتك عبد الرحمن لأنك لم تتذكر حتى اسمك. ومنذ ذلك الوقت وأنت تعمل كطبّاخٍ ومشرفٍ للقصر. وما رأينا منك إلا كل خُلُق طيّب...

وها هما ابناكَ مثلك.

اذهب يا عبد الرحمن واجلب بقيّة عائلتك إلى هنا... وان لم يسعك وطنك الآن ستسعك قلوبنا وهذه الأرض الطيبة...

عندما سمع عبد الرحمن هذا الكلام، ذرف دموع الفرح والشكر وعانق سالم بحرارة.

في صباح الغد سافر عبد الرحمن وولديه إلى مخيّم أطمة، وفي الطريق كان يصلّي الى الله راجيا إيّاه أن يُرجع له ذاكرته قبل أن يقابل زوجته.

شارعٌ فقط يفصلهما عن المخيّم. تتسارع دقات قلب عبد الرحمن، يبلّله العرق رغم البرد... يعود مشهد الحرب ليراوده من جديد... ما الذي يحدث لي؟! يمسك نوّار وحسّان بيديّ والدهما... وفجأةً يلمح حسّان أمه تعمل في المستوصف القريب من الشارع. يصيح: أمي أمي... يفلت من يد والده ويسرع ليقطع الشارع دون أن ينتبه للسيارة القادمة بسرعة نحوه... تتحرّك دماء الأبوة في عبد الرحمن، فيقفز لينقذ ابنه من براثن عجلات السيارة، يقذفه إلى برّ الأمان... ولكن يتلقى الضربة من السيارة

المسرعة فتتفجر الدماء من رأسه وكتفه الأيمن، يسقط مغشيا عليه. يسرع سائق السيارة بنقله إلى المستوصف. بكاء وعويل نوّار وحسّان يخترق المكان ...

- لا تمت يا والدي ... لن نفقدك مرة أخرى ...

تركض الأم نحوهما بذهول، تتسمّر أمام زوجها... تعانق طفليها بلوعة واشتياق. تقرع طبول قلبها بشدّة دون أن تنبسّ ببنت شفة. تمسك بيد زوجها الباردة ... تقبّلها ثمّ ترتمي بأحضانه ودموعها الساخنة تسيل على وجنتيه ... وما هي إلّا لحظات حتى ترجع نبضات قلبه للصهيل ... يفتح عينيه ببطء ... يراها أمامه، يبتسم ثم يتمتم: كم أشتاق إليكِ يا هناء... كم أشتاق للوطن...

****

الحبّ المقدّس [9]

"فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا" (سورة مريم: **23**)

سيوفٌ ناريّة تخترق أسفل بطني وظهري... أصيح بأعلى صوتي مع كل طلقة مخاض كلّ ثلاث دقائق... كلّ دقيقتين.. كل دقيقة. نبضات قلبي تتسارع فوق المئة وعشرين. نزيف دم لا ينتهي... بالله عليكم أعطوني أيّ مسكّن لهذه الأوجاع المرعبة. حروف سورة مريم تخترق الغرفة لتضفي نفحة سكينة... نعم يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًّا. زوجي يذرف الدموع خوفًا عليّ... هذه المرة الثالثة التي أراه بها يبكي. وكلّما شعرت بطلقة، شددتُ على يديه وقمت بعضّه أحيانا. يضحك عليّ فأصيحُ به: "التوبة هذه آخر مرّة أحمل فيها". تقترب أمي منّي باكيةً لأجلي، تمسح دموعي بيدها الطاهرة، وتدعو الله أن يخفف عنّي وجعي.

[9] هذه القصّة كتبت بتاريخ:26.12.2018

قالت الممرضة: سنوصلك الآن بغاز الضحك، الذي يخفف الألم، ريثما يتفرّغ الطبيب الذي سيضع لك حقنة المخدّر في الظهر.

غاز الضحك وما أدراك ما غاز الضحك. إنّه لا يخفّف الألم كثيرا لكنّه جعلني أحلّق في عالمٍ آخر وأهذي، صرتُ أضحك وأتفوّه بنكاتٍ لأمي ولزوجي، أنا نفسي أوّل مرّة أسمعها ... وكنت لا أكفّ عن استنشاقه كلّما أتتني طلقة مخاض مبرحة. ثم أسافر في غرف الذاكرة...

- هناك نبضٌ ولكن الجنين موجودٌ خارج الرحم بجانب المبيض الأيمن... هيّا ابدئي بالصيام منذ الآن، وجهّزي نفسك لعمليّة إجهاضه صباح غد.

- لن أفعل ذلك طبعا ولن أخضع لأيّة عمليّة. أوّلا لأنّه لديّ حساسيّة من مواد التخدير، وثانيا لأنّ قلبي لا يصدّق ما تقوله أيّها الطبيب.

عندها عقد طبيب النساء الروسيّ حاجبيه وصاح بي: ليس أنا الذي أقول يا سيّدتي، أنظري إنّه جهاز الالتراساوند (جهاز الذبذبات فوق الصوتيّة) هو الذي

يقول أنّ جنينك خارج الرحم. وإن بقي لأكثر من ثلاثة أيام داخلك، فسوف تعرّضين حياتك للخطر.

يا الهي ظلمة المكان أهون علينا من ظلمة القلوب، ابعد عنّا مثل هؤلاء إنّك سميعٌ مجيب الدعاء.

نعم وكيف لي أن أنسى عندما تسلّل الحريق إلى قلبي وجسدي، بعد أن جرحتني قسوتهم وصدمتني قلوبهم التي تقطر سحرًا أسود... حينها أيقنت أنّهم الأفاعي التي طاردتني في حلمي على رمال الشاطئ... وفي أحد الأيّام، بينما كنت أمشي متوجّهةً إلى البيت بعد العمل، أُصبتُ بدوارٍ شديد، وسقطتُ على الأرض مغشيًّا عليّ. نقلوني إلى المستشفى وهناك قال لي الأطباء أنّ الهيموغلوبين منخفض جدًا...فحص تلو الآخر... لم يعرفوا ما حلّ بي... وبعد أن أجروا لي فحص الدم الأخير، حملت الطبيبة التقرير وتوجّهت إليّ وإلى زوجي مبتسمة:

- ألف مبارك! أظهرت نتائج الفحص أنك حاملٌ في الشهر الثاني. لهذا انخفض الحديد عندك في الدم.

عندها صاح زوجي بفرح كبير:

- الحمد لله... ألف مبارك يا زوجتي العزيزة! إنّها أجمل هدايا الرحمن.

اغرورقت عيناي بالدموع لأنّ الإجابة أتتني من السماء، عندها قلت في نفسي:

الحمد والشكر لك يا الله يا من عوّضتني ببشرى نقيّة من عندك أمست بردًا وسلامًا على قلبي المكلوم. رفعت يديّ إلى السماء وقلت: "ربِّ إنّي نذرت لك ما في بطني محرّرا، فتقبّل منّي إنّك أنت السميع العليم" (آل عمران: **35**)

نعم بعد كل هذا كيف أرضى بما قاله الطبيب الروسيّ. عدتُ إلى غرفة الأشعة وقلت له بثقة: اسمع يا دكتور أرواح الأجنة ليست لعبة بين يديك. لن أجري العملية غدا... هذا قراري وسأنتظر حتى يحضر الطبيب المختص بحالات الحمل الخطرة، ويفحصني مساء غدٍ. عندها ابتلع الطبيب ريقه بصعوبة، وقال لي: يا لجرأتك! حسنًا... حسنًا سأكتبُ بالتقرير ما طلبتِ.

وعندما سمعني زوجي أتكلم بهذه الطريقة مع الطبيب الروسي، عانقني بحرارة وأطرى على جرأتي النادرة. فقلت له: سنتوكل على الله كما نفعل دائما ولن نسمح لهم أن يتسببوا لنا بخسارة ابننا المنتظر.

عندما علم والدي بالأمر، هاتفني قائلا: سأدعو الله أنا ووالدتك أن يكون حملك سليما، وسأصوم معك غدا يا بنيّتي... وكلّي أمل أن يتقبّل الله منا.

- ما أعظمك يا والدي وما أحنّ قلبك... شكرته ودموع القلب تقفز قبل العين.

ليلة ليست ككل الليالي، أبقوني فيها على السرير ممدّدة في وحدة "الحمل في خطر"... لم أنم أبدًا في تلك الليلة... كل الوقت كنت أفكر في جنيني، وأيضا بطفليّ الصغيرين اللذين اشتقت لهما كثيرا. كنت أنظر لسقف الغرفة، أذرف الدموع ثمّ أدعو الله أن لا يردّني خائبة وأن لا يتركني وحيدة في هذه المحنة.

في مساء اليوم التالي قام الطبيب العربيّ المختص بحالات الحمل الخطرة، بفحصي بجهاز أشعة أكثر تطورا... كنت حينها أتمتم بالدعاء لله وبالصلاة على الرسول الكريم.

بعد الانتهاء من الفحص قال لي الطبيب: هيّا ارجعي إلى البيت، حملك سليم، وهو موجود داخل الرحم.

كان الطبيب الروسي الذي فحصني من قبل، بجانبه وعندما رأى ما أشار إليه الجهاز وسمع ما ذكره الطبيب الآخر، قال متعجّبا: حقًا إنّها معجزة!

عندها حمدت الله وذرفتُ دموع الشكر والفرح، ثمّ أسرعت عند أهلي في الخارج أبشّرهم. هنأني الجميع، أما والدي العزيز فبكى من شدّة الفرح، عانقني وقال لي: الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا... دائما فوّضي أمرك كلّه لله ولن يخذلك.

- يا ربّ الحمد والشكر لك على ما وهبتنا إيّاه من البنين... ارزقنا يا الله هذه المرة بنتا جميلة واجعلها من المؤمنات الصالحات.

هذا الدعاء كنت أردده كل يوم في حملي. بعد شهرين أجريتُ فحصَ معرفة نوع الجنين والاطمئنان على سلامة أعضائه. طمأننا الطبيب على سلامة الجنين ثمّ قال: إنّها أنثى.

- الحمد والشكر لك يا الله...لقد استجبت لدعائي... إنّها أنثى... طفلةٌ ستأتي إلينا لتضيء البيت برقّتها وعذوبتها. يا ربّ انّي استودعك إيّاها فاحفظها لي يا رب العالمين.

عندما خرجت أنا وزوجي من الفحص، تساءل فريد ومحمد عن نوع الجنين. فقلت لهما: سنرزق بأختٍ جميلة لكما يا طفليّ الصغيرين.

فرح محمد بالخبر كثيرا، ولكن فريد صار يبكي ويقول: كنت اعتقد أنّكِ ستنجبين أخًا آخرَ لنا... ولكن ابتسامته عادت إليه عندما قلتُ له:

- اسمع يا فريد! سأدعك تختار لها اسمًا بنفسك.

فكّر قليلًا ثم قال: حسنًا، سأسميّها "ليان".

- ماما، سيسميها على اسم صديقته ليان في المدرسة. قال محمد ساخرًا.

ضحكنا جميعا... لكن فريد غضب من كلام أخيه وابتسامة خجل تعلو عينيه.

ضغطٌ عالٍ، تسارع في دقّات القلب، نزيفٌ في الأنف، صداع نصفيّ، رجلان منتفختان بالسوائل. كل ذلك جعلني أتوقف عن عملي كمدرّسة في مدرستين في الشهر الأخير من الحمل. وعلى الرغم من النفسية المتعبة بسبب هذه الأعراض، كنت أحضّر غرفة ليان وثيابها الورديّة بجوٍ من الحماس والفرح.

انتهى شهري التاسع ودخلت في العاشر، ولكنني لم ألد بعد. عندها نصحتني طبيبتي بالذهاب إلى المستشفى... وحالما وصلتُ إلى هناك أصبتُ بنزيف بالأنف وبنزيف آخر يبشّر باقتراب الولادة.

لم أكن أشعر بألم المخاض حينها. وقبل أن يضعوني بغرفة تحفيز الولادة، أجرت لي الطبيبة تصويرا للأشعة لمعرفة وضع الجنين.

- وزنها كبير يقترب من الأربعة كغم، ورأسها مرتفع عن عنق الرحم. من المحتمل جدًا أن تلدي بعمليّة قيصريّة. وعليك أن تقرري في هذه الساعات، قبل أن تجفّ مياه الرأس ويتضرّر الجنين. عندها، تسارعت نبضات قلبي وقلتُ للطبيبة:

- ماذا عن الولادة الطبيعيّة في الماء التي قمتُ بالتسجيل لها منذ الشهر السابع؟

- في حالتك هذه لن يفيدك ذلك، ربما الماء الساخن فقط سيخفف عنك بعض آلام المخاض.

- حسنا سأجرب الولادة الطبيعية، لأنني هكذا ولدت طفليّ فريد ومحمد... قلت للطبيبة ويا ليتني لم أقل لها ذلك.

في غرفة تحفيز الولادة أعطوني حقنة تسرّع الطلق، من أجل تسريع عملية الولادة. وفي تلك الليلة لم أنم لأنني شعرتُ بآلام المخاض تزداد حدّتها شيئا فشيئا. كل ساعتين تأتي الطبيبة لفحصي. وعند اقتراب بزوغ الفجر، ناديتها لأنّ آلام المخاض أصبحت شديدة.

- 3 سم، ما زلتِ في أوّل الطريق.

- ماذا عن الوجع يا دكتورة. أعطوني مسكّنا للآلام أرجوكم!

- سنعطيك أكامول سائل، ولكن بعد فترة لن يفيدك.

ليلة أخرى من المعاناة، ولم ينقلوني بعد لغرفة الولادة...

وسط هدوء الليل، تسللتُ خفيةً إلى غرفة الولادة الطبيعيّة، جرّبت الجاكوزي بمياهها الساخنة، الحبال، كرات البيالتس... خفّ الألم قليلا لكنه بعد دقائق عاد مضاعفا.

مشيتُ برفقة أمي وزوجي جيئةً وذهابا في قسم التوليد، علّ ذلك يساعدني في الولادة بسرعة. وعندما كانت تأتيني الطلقة كنت أصرخ من الألم وتعزف صرخاتي مع صرخات باقي النساء في القسم لحن حياةٍ وموت. كنت أعانق زوجي مغمضة العينين معتصرةً إياه بشدّة مع كل طلقة مخاض. وبعد أن رجعتُ إلى سريري أوصلتني الممرضة بعدّة أجهزة: جهاز قياس الضغط، المونيتور

(جهاز قياس الطلق ونبض المولود) والسيتوراتسيا (جهاز قياس درجة إشباع الاوكسجين بالشريان).

فحصتني الطبيبة وقالت: ما زال التفتّح 4 سم، تحتاجين لسنتمتر واحد آخر حتى ندخلك غرفة الولادة.

وبرغم أوجاعي وآلامي كنت أذوب عشقا عندما أسمع صوت نبض طفلتي داخلي.

ازدادت آلام المخاض أكثر فأكثر.. لم أعد احتمل بعد... مغارة المجهول بعيدة ولا أرى ضوءا فيها... صرخت موبّخة كل الأطباء، طالبة منهم أن يصلوني بحقنة المخدّر التي تخفّف الألم كثيرا.

جاءت الممرضة وفحصتني، ثم قالت: حسنًا...

الآن 5 سم... سندخلك حالا غرفة الولادة، سنعطيك غاز الضحك قبل حقنة المخدّر.

عندها سبحت بذاكرتي وتنقلت بين الزمان والمكان مع كل شهقةٍ من غاز الضحك.

بعدها بقليل نزعوا عني جهاز غاز الضحك، وأوصلوني بحقنة المخدّر في ظهري التي جعلتني نصف مشلولة. بعد نصف ساعة اختفت آلام المخاض تقريبا، عندها استطعتُ أن آخذ غفوة صغيرة، أفقت منها على وجع مخيفٍ في معدتي، تلك التي لم تبتلع أي شيءٍ منذ ثلاثة أيام.. جعلتها الآن تهضم قطع ثلجٍ كنت قد طلبتُ من زوجي أن يحضرها لي حتى ينطفئ ذلك الحريق بداخلي.

- 8 سم الآن... ممتاز! قالت الممرضة.

- والآن مع كل طلقة ادفعي بكل قوّتك إلى الأمام ... وخذي نفسا عميقا

أخذت أفعل هذا مرارا وتكرارا لكن بدون نتيجة، طفلتي لا تريد الخروج إلى هذا العالم، نعم. معها حق فالعالم الداخليّ أحنّ وأرحم عليها بكثير.

وبينما أنا كذلك كانت تأتي القابلة كل ربع ساعة لفحص تطور الولادة.

- هناك أمرٌ غريبٌ يحدث. ضغطك ونبضك يرتفعان... سنجري لك فحصا كي نطمئن عليكِ.

- درجة الأوكسجين في دمك تقل، الهيموغلوبين 5، نبضك 150، درجة حرارتك 39.5.

- أزيلوا حقنة المخدّر! قال الطبيب الكبير المسؤول الذي فحصني وسط جمهور من الأطباء القدامى والجدد... أدخل يديه ليشعر برأس الجنين فإذا برجلي الشمال تنتفض لوحدها وكأنه ضغط على زر تشغيل خاطئ.

- التفتّح 9 سم، ولكن رأس الجنين عالٍ، والنزيف لا يتوقف... جهّزوا غرفة العمليات حالا...سنفقد الأم والجنين... هيّا أسرعوا!

ومن شدّة خوفي ممّا سمعت، تسارعت نبضات قلبي أكثر من قبل، ضاع صوتي وغصّت دموعي في حلقي الجاف...

عاودتني آلام المخاض وبشدة بينما يجرون سريري بسرعة لغرفة العمليات... أصبحتُ أرى طيف الموتِ أمامي... صرتُ أصرخُ بلا صوتٍ... يا ربّي، كن معي، لا تتركني وحيدة... أهي النهاية... لا.... أريد أن أرى أطفالي، أريد أن أموتُ في بيتي، وليس هنا ... أريد أن أرى وجه طفلتي مرة واحدة على الأقل قبل أن أموت.

أراد زوجي أن يدخل معي إلى غرفة العمليّات، لكنّهم لم يسمحوا له بحجّة أنّها عمليّة طارئة. حضنتني أمي وهي تدعو لي والدموع تنساب من عينيها... حضنني زوجي وهو يبكي.

- أهي النهاية يا حبيبي، ألن أراكَ بعد اليوم؟!

- لا تقولي هذا يا حبيبتي! ستنجبين أجمل طفلة وسترجعين إلينا سالمة.

- اهتمّ بطفلينا، انهما أمانة برقبتكَ... كان هذا آخر ما قلته لزوجي قبل دخولي غرفة العمليّات. وحتى الممرضة القابلة أشفقت عليّ وصارت تبكي ثم قالت لي:

- لا تقلقي سأرافقك إلى الداخل، وستمرّ العمليّة بخير.

في غرفة العمليّات أخذت أصيح وأقول للأطباء:

- أرجوكم أوقفوا الطلق قبل إجراء العمليّة، لكن ما من مجيب...

نقلوني كالشاة إلى سرير آخر، وضعوا ستارةً عاموديةٍ فوق نصف جسدي الممدّد. أحسستُ بالمشرط الذي مزّق به الطبيب أسفل بطني كأنّه يذبحني، صرت أصرخ وأبكي، حتى أنّي أردت أن أقوم من السرير لكي أهرب، على الرغم من أنني كنت غارقةً بالدماء، فالهرب أرحم من أولئك الأطباء عديمي الرحمة. لكنّهم ربطوني من يديّ ورجليّ بحبال في السرير حتى لا أقاومهم.

أحسستُ بآلام الشقّ كأنّي في مسلخٍ للحيوانات وليس في مستشفى. صرخت بهم بأعلى صوتي: حرامٌ عليكم! ماذا تفعلون بي؟! هذه جريمة... ارحموني!

لكنّ أحدًا لم يسمعني... آهٍ يا زوجي! لو كنت معي لما فعلوا ذلك بي.

وبينما أنا على هذه الحالة التي يرثى لها، اقترب منّي طبيبٌ عربيّ شاب وقال لي:

- تحمّلي قليلًا يا أختي! لا نستطيع إعطاءك حقنة التخدير الكامل خوفًا على الجنين، لأنّ نبضاته أصبحت

بطيئة. انتظري فقط دقائق معدودة حتى نستطيع إخراج ابنتك من رحمك.

ومن أجل سلامة ابنتي صرْتُ أعضّ غطاء السرير وأكظم الوجع المخيف بداخلي. وفي ذلك الوقت تذكّرتُ فيلم " **awake**"....عندما شعر البطل بألمٍ مخيف أثناء عملية

شق صدره من أجل زراعة قلبٍ آخر له، دون أن يغيب عن الوعي.

ها أنا الآن مثله تماما، يحفر الطبيب في بطني، ويبحث عن الجنين. أنزف ألمًا ودمًا، يسلخُ جلدي ويطويه إلى فوق فأصيح: ارحموني أرجوكم أتوسل إليكم! أعطوني مخدّرًا كي لا أشعر بهذا الألم الفظيع.

يواسيني الطبيب الذي يقف بجانب رأسي: دقيقة وينتهون وسنعطيك حقنة المخدر الكامل. وقبل أن يتمّ جملته، غبتُ عن الوعي وتهتُ في الظلمات...

بعد لحظاتٍ فتحتُ عينَيّ على ستارة بيضاء فقلت في نفسي: من المؤكد أنني انتقلتُ إلى العالم الآخر ... لكن قطع الطبيب صورة الموت أمامي قائلا: الحمد لله على

السلامة، أنتِ وابنتكِ بخير. وأعطاني حقنةً في الوريد لتخفيف آلام العمليّة القيصريّة.

- أحقًا أنا على قيد الحياة... الحمد لله، اعتقدت

أنني رحلت...

لمستُ بطني، أحسسته فارغًا، وأسفله خطٌّ مستقيم مليء بالأسلاك الحديديّة.

أربع ساعات مرّت وأنا انتظر قدوم زوجي كي يخرجني من هنا إلى غرفة ما بعد الولادة. وكلّما سألتهم عن الأمر، أجابوني: بعد قليل.

كانوا يضعون كل المرضى الذين يخرجون من العمليات في هذه الغرفة وليس فقط النساء اللاتي مررن بعملية قيصريّة.

لم يكن كل الأطباء يهتمون بنفسية المرضى بعد العملية، بل يتحدّثون مع بعض على مسامعنا عن مرضى ماتوا في غرف العمليات.

بعد أن نقلوني لغرفة ما بعد الولادة، سمحوا لزوجي بالدخول، اقترب مني بسرعة وعانقني بشوقٍ قائلا:

- الحمد لله على سلامتك يا زوجتي العزيزة.

وكالطفل يشكو لأمّه ما حدث له، سردتُ عليه ما حصل لي في غرفة العمليات ... استشاط غيظا، وقال لي سأرفع دعوى قضائية عليهم... اصبري قليلا...

نسيت وجعي وقلتُ له: كيف هي ليان؟

- اطمئني وانظري إلى صورها من هاتفي... أنا أوّل من رآها بعد الأطباء حملتها وقمت بتصويرها... إنّها ملاكٌ

من الجنة.

نظرتُ إلى صورتها وقلتُ بحب: يا الله ما أجملها... الحمد والشكر لك يا ربّي!

- ولكن...

- ولكن ماذا؟

- بصراحة قال لي الطبيب عندما أخرجوها من بطنك، لم يكن قلبها ينبض، فأجروا لها عملية إنعاش، فنبض قلبها بعد دقيقة ونصف من الولادة... الحمد لله!

دُهشتُ لما أخبرني به زوجي، لكنني حمدت ربي كثيرا أنّني وإيّاها عدنا للحياة من جديد... ورغم ألمي وتعبي، أردتُ أن أذهب لأرضعها، لكن زوجي منعني.

- لا تستطيعين ذلك، أنت مرهقة جدًا بعد العمليّة، وهي الآن في غرفة العناية المكثّفة للأطفال الخدّج.

- ماذا تقول؟! صِحتُ بغضب. لماذا هي هناك على الرغم من أنّك تقول إنها بصحّة جيّدة.

- نعم صحّتها جيّدة، ولكن حرارتها مرتفعة قليلا، لأنّك كنتِ هكذا في اللحظات الأخيرة من الولادة، فأخذت هذا الأمر عنك. لا تقلقي! ستتحسّن قريبا، وغدا ان شاء الله سترضعينها...

في تلك الليلة خفت أن يجفّ الحليب من عروقي، ناديت على الممرضة، أعطتني زجاجة رضاعة وشافط كهربائي.

قمت بشفط الحليب ووضعته في الزجاجة وأرسلته بلمسة حنان إلى ليان.

ثم تمدّدت على السرير، هذا اليوم الخامس منذ مجيئي للمستشفى وأنا لا أستطيع الأكل أو النوم.

اجتاحتني الأوجاع بعد العملية بشكل رهيب، حتّى المسكّنات التي أعطوني إيّاها كل أربع ساعات لم تستطع التغلّب عليها. ومع كلّ شهيقٍ وزفير كان هناك ما يعيقُ تنفّسي وكلامي، ويجعلني أشعر بوخزٍ في صدري وظهري. وإن تمددت لا أستطيع القيام لوحدي من السرير إلا بمساعدة أحدهم.

اعتقدتُ أنّ كلّ آلامي ستنتهي بعد الولادة. لكن ما زالت نبضاتُ قلبي سريعة، ضغطي عالٍ، الهيموغلوبين منخفض جدا. حتّى أنني أحسّ بالحر الشديد في عزّ البرد. لم أذق طعم النوم طيلة الليل. وفي الصباح ازداد الأمر سوءا... لا أقوى على التنفّس. أدخلني الطبيب بسرعة لفحص الأشعة للرئتين، معتقدين بوجود جلطة رئوية.

أمي وزوجي يبكيان في الخارج وأنا أقول للطبيب: لم أرَ ابنتي منذ ولادتها.. أريد أن أرى ابنتي ليان، أريد أن أرضعها وأحضنها، هي تحتاجني، وأنا أحتاجها...

صرتُ أصرخ... أصبتُ بانهيارٍ عصبيّ وبإحباطٍ كبير. بتُّ لا أقوى على الكلام ولا استطيع استقبال المهنّئين... جلبوا لي العاملة النفسيّة لتهدئني.

طلبت مني أن أقصّ عليها ما حدث لي، سردتُ لها قصّة معاناتي في الولادة، وما قبلها وبعدها... هدّأت من روعي قليلا، قامت بإطرائي على شجاعتي، وأكدت لي أنّ الأمور ستكون على ما يُرام.

- ألم يعُد الله يحبني؟! قلت لزوجي ودموعي

لا تغادر وجنتيّ.

أجابني زوجي: أنت إنسانة مؤمنة يا حبيبتي. تحلّي بالصبر! وما ابتلى الله قوما إلّا لأنّه يحبّهم ويريد أن يقربهم

إليه أكثر.

بعدها تبيّن من فحص الرئتين أنّه ليس هناك جلطة رئوية، إنّما نقطة لزجة سائلة من جرّاء العملية القيصرية صعدت إلى الرئة من جهة اليمين وستختفي هي والوجع بعد أيّام.

قلتُ لزوجي والصبر قد نفدَ مني:

- لا أستطيع الانتظار أكثر. الآن خذني عند ابنتي ليان كي أراها أضمّها، وأرضعها.

عندها أخذني زوجي بالكرسيّ المتحرّك إلى غرفة الأطفال الخدّج...

طار قلبي قبلي إلى هناك. وعندما وصلنا، قمتُ بسرعةٍ من الكرسيّ، نسيتُ كلّ آلامي، وضعت المعقّم على يديّ... سبقتُ زوجي، وصرتُ أجوب السرائر بسرعة أبحث عنها

بدون أن أرى الأسماء، شيءٌ ما شدّني إليها، عرفتها لوحدي ... نعم هي ... صارت تضحك لي كأنّها تعرف أنني أمّها ... حملتها وحضنتها بكلّ حبّ وحنان.

- قال لي زوجي: كيف عثرتِ عليها بهذه السهولة؟!

أجبته: إنّه قلب الأم يا عزيزي!

- يا الهي! ما هذا الملاك الذي أهديتني إيّاه بعد كلّ هذه المعاناة ... الحمد والشكر لك يا الله، إنّها قطعة من الجنة... استودعك إيّاها يا رحمن فاحفظها بعينك التي لا تنام. ما شاء الله عيناها بزرقة السماء الصافية، شعرها خيوط شمسٍ نديّة، بيضاء كالثلج ... ورديّة الخدين ... تماما كما أتتني في الحلم.

إنّها هديّة الله لي ... أشرقت بابتسامتها، فأرضعتها من حليب الحبّ والحياة ...

****


الباب الثاني
قصص قصيرة جدا

نزيف الربيع [10]

تاهت في أفق الجليد تدوس طبقاتِ الأرضِ. حاملةً معها ليلًا يرتدي وشاحًا أبيضَ. شيءٌ بداخلها يـئِنُّ ويرجوها: "لا تيأسي! فأنا معك، بداخلك، أسمعكِ واشتاقكِ وسوف أحررك من آلامك". وهي تسمعه، تبكي ثم تضحك ثم تبكي... كلّ أطرافها تناجيها من ألم الأسر، والمخاض يزداد قوةً معلنا قذف جنينها المقبل...
فجأة كُسرت ثنايا المرآة المتجمدة، وغاصت المرأة في الماء القارس، بعد برهة خرجت من الماء المتجمد تلهث ثم وضعت يدها اليمنى على حافة الجليد وباليد الأخرى قذفت مولودها الصغير، ثم صاحت: "اخرج يا طفلي الصغير إلى البرية، واكسر هذا الجليد، وغطّ الأرض بفراش أخضرَ! هيا اذهب فاني قد أسميتك الربيع". ثم لفظت آخر أنفاسها مع ابتسامةٍ حزينة...
ازداد ظهور الأجنة في البرية وانسلخ الأنام من عباءاتهم، يلتفون حول موقدٍ مليءٍ بالجمر، تارةً يُحرقون

[10] كتبت هذه القصّة بتاريخ: 2012-12-25 مع بداية ثورات الربيع العربي.

بالجمر وتارةً يأكلون الكستناء. كثيرٌ منهم اُحرقوا بالجمر وتحوّلوا لشعاراتٍ ثوريّة أعلنت دماؤها ضريح الحرية، والذين يأكلون الكستناء تحولوا الى أكلة لحوم البشر...

****

نسيجُ الحبِّ [11]

طَبعتْ شكلَ الإبرةِ في راحتَيها. مَا زالتْ تَبكي زوجَهَا الذي لَمْ يَرجعْ بعدُ مِنَ الحربِ. جففَتْ دُموعَهَا بكلِّ ثوبٍ صنعَتْهُ. وبقيَ حُلمُ العَودةِ يُراودُهَا، حتّى لاحَ في الأفقِ ثوبٌ أبيضُ يمتطِي حِصاناً أسودَ. أطبقَتْ عينيَهَا بابتسامةٍ صغيرةٍ وبيدِهَا جرحُ الإبرةِ لآخرِ ثوبٍ حاكتهُ دُموعُهَا.

****

[11] كتبت هذه القصّة بتاريخ 2014- 09 -15
وقد فازت بالمركز الأول في مسابقة مهد الحضارات الأدبية للقصة القصيرة جدا (تشرين الأول 2014) والتي شارك بها الكثير من الأدباء الكبار من أنحاء الوطن العربي. وقدّم لها د. خالد التوزاني من المغرب نقدًا أدبيًا (النقد مرفق بنهاية المجموعة).

تضحية [12]

تلكَ المعاهدة وأَدوها في سجنِ الاحتراق. تداعى للحسينِ صوتان. روحٌ تئنُّ من حُمّى الأمَّة، وأطفالٌ يولولونَ بانتظارِ آبائهم... انتفضت له جوارحُ الحقِّ، فحلَّقَ بها في ليلةٍ بيضاءَ عاصفةٍ، حتّى استقرّت خواطرُهُ عندَ مواطنِ النّورِ، فانسلخت روحُهُ طيرًا يرفرفُ بأجنحةِ السلامِ، وأمطرتِ السماءُ دماءَ الحريّةِ، معلنةً ولادتَهُ من جديد...

****

[12] كتبت هذه القصّة بتاريخ 2015- 01 -01
وقد فازت بالمركز الأول في مسابقة مهد الحضارات الأدبية للقصة القصيرة جدا (كانون الثاني 2015) والتي شارك بها الكثير من الأدباء الكبار من أنحاء الوطن العربي.

حظٌّ [13]

أغلق سماعة الهاتف وعيناه تضحكان بشغفٍ بعد طول انتظار... ها هو يكوي ثيابه مع كل جرحٍ أحدثه نزيف البطالة. نادته أمه لتناول الفطور، لكنه شرب رشفتين من كوب الشاي الأسود، واستعجل الذهاب لئلا يتأخر عن أول يوم له في العمل. فقد تمّ تعيينه سائقاً لأحد رجال الأعمال المعروفين. وما أن همّ بفتح الباب حتى رنّ جرس الهاتف... نادته والدته: انتظر يا بني!

شخصٌ ما يطلبك على الهاتف. خفق قلبه كطفلٍ حديث الولادة، أمسك سماعة الهاتف وإذا بغصةٍ سوداءَ تؤلم حلقه. ابتلع ريقه بكل بطء، رفع السماعة وإذا بصوتٍ متحشرجٍ يقول له :يا بني، اخلع بذلتك السوداء فرجل الأعمال قد توفي مع سائق زوجته بحادث سيارة في هذا الصباح الباكر.

****

[13] هذه القصّة كتبت بتاريخ: 28-12-2014

انعكاس[14]

بغبطةِ المكتشفِ أمسكت يدَ أبيها، وهيَ تُجرِّبُ أولى خطواتِها السّريعةِ في السّوقِ القديمِ. اختلطت أنفاسُها برائحةِ الكعكِ والزّنجبيلِ، وطافت عيناها إلى عمالقةٍ يصرخونَ، يضحكونَ ويأكلون ... أفلتت يدَ والدِها وتاهت في الزّحام ... أصابتها الحيرةُ ولكنّها لم تبكِ إنّما جلست على كرسيٍّ صغيرٍ منَ القشِّ بجانبِ حانوتِ الخيّاطِ ... جذبَها الزّجاجُ الملوّنُ وانعكاسُ ألوانِهِ مع أشعةِ

[14] كتبت هذه القصّة بتاريخ: 01-04-2015
وفازت بالمركز الثاني بتاريخ 25-04-2015 في مسابقة القصة القصيرة جدا التابعة لمهد الحضارات الأدبية في العالم العربي.
وتمّ ترجمتها إلى الانجليزيّة من قِبل الكاتبة "هبة أحمد غصن" من لبنان.

Reflection

With a bliss of a discoverer, she grabbed her father's hand while she tried her first, quick steps in the old market. Her breath mingled with the smell of cakes and ginger and her eyes roared around to the screaming, laughing and eating giants... She let go the hand of her father and got lost in the crowd... She got puzzled but did not cry, but she sat on a small straw chair next to the tailor shop…She was attracted by the stained-glass and its reflection of colors with the sun's rays... Stretched her hand upon it drinking of its iridescent and Jasmine birds were spinning around and woven into her white gasket until her father hugged eagerly... She has gone with him, leaving the iris love story told by the grandson of the tailor with her after two decades.

الشمسِ؛ فمدَّت يدَها إليهِ تنهلُ من بريقِهِ القُزَحِيِّ، وكانت عصافيرُ الياسمينِ تدورُ حولَهَا، وتنسجُ لها طوقًا أبيضَ، إلى أن خالطَها عناقُ والدِها الملهوفِ. رحلت معهُ تاركةً خلفَها قصةَ حبٍ قزحيةٍ، رواها حفيدُ الخياطِ معَها بعدَ عقدينِ من الزمنِ.

****

خرزة زرقاء [15]

بعد أسبوعٍ من ولادته، أقام له والداه حفلة طهور كبيرة. كان طفلًا مميّزا بعينيه الزرقاوين الجاحظتين. فسارعت أمه تزيّن معصمه بخرزة زرقاء، خوفًا من حسد الحاسدين له. كبُرَ وظلّت عيناه تصيبان بالحسد كلّ من رأت. حتى نسي نفسه مرةً ونظر في المرآة، فسقط بسهم عينيه قتيلا.

****

[15] هذه القصّة كتبت بتاريخ: 2015-08-09

طريدة [16]

تذوي كالمحارة على ظهر صخرة نفاها الجزر وسط الرمال.
لا صراخ بعد اليوم ...
لا أمواج تأخذها إلى عوالم الاكتشاف ... وحيدة هي مع لؤلؤتها الحزينة ... تغرز الشمس سيوفها بجسدها المتعثر، تبقى ساكنة بلا حراك ... تزيد الشمس من شحنات لظاها، تقلبها، تبعثر أجزاءها ...
ولكن دون ردة فعل منها ... ومع انغماس الشفق تشفق الشمس عليها، فترسل لها القمر كي يواسيها في ليلتها الأخيرة ... وقبل أن يغطيها بأثيره، يراها غارقة بالدموع... فيبهر بجمالها الحزين ... ويوقظها دمعه الشتوي ... وخلف الضلوع ينزف من الحنين يراعاتٍ لتضيء وحدتها، فينثرها عليها ... وفجأة تُفضّ بكارة روحها وتحمل بالصهيل ...
ترمقه بصمت، تقذف مولودها إليه وتصلي صلاة الوداع ...

---

[16] هذه القصّة كتبت بتاريخ: 2015-12-3
وقد فازت في المركز الثالث بمسابقة القصة القصيرة جدا التابعة لرابطة أدباء القصّة القصيرة جدًا في العالم العربي بتاريخ
15-02-2016

سفر [17]

مع كل فجر كانونيّ زرعت غيمة من الابتهالات في سماء الأمنيات، وباتت مؤرقة لا تنام، تمشي على صراط اللهفة وتستجدي المخاض، حتى أتاها محمرّ الأنفاس، معاتبا لحفيف دعائها ... ضمته بشوقٍ وحنين، وطلبت منه ألا يستعجل الرحيل ... برقت السماء ورعدت أوصالها عطرا من الألم ... تنفست ضاحكة بصعوبة، كبّلتها الرائحة... تاهت في مرافئ الذاكرة...
تبخّرت فوق بحر عشقها ... أمطرت حياةً وقصيدة ...

****

---

[17] كتبت هذه القصّة بتاريخ: 2016-01-02
وقد فازت في المركز الثالث بمسابقة القصة القصيرة جدا التابعة لرابطة ملتقى الديوان للأدباء في العالم العربي عن شهر فبراير 2016

الدمعُ الأبيضُ [18]

ينحَتُ ملامِحَها بإزميلِ "بجماليون". يفرشُ إلى جانبها الأرضَ بأغنيةِ وطنٍ، ويمسِّدُ شعرَها المعطّرَ عندَ الفجر... تمتزجُ أنفاسُه المعتّقةُ بنداها الشهديّ... يسقيها حبًا بكفيّهِ اللتين خطَّ عليهما الدهرُ ألفَ حكايةٍ، وينتظر...

تنبعثُ إلى الحياةِ عروسًا خضراءَ. تحملُ ثُمّ تلِدُ بعدَ مخاضٍ طويل... تجرحُهُ الأشواكَ، تدنو منهُ لتبلسمَ جراحَهُ بلبنِها الدافئ... يغيبُ عنها كغيرِ عادتِهِ، تشتاقُهُ... يختارُه الله بعد أن ذاقَ الجميعُ ثمارَها من بحرِ يدَيهِ... تنزِفُ دمعَها الأبيضَ إلى أن تجفَّ وتموت تينةُ جدّي الحزينة.

****

[18] هذه القصة كتبت بتاريخ: 24.11.2016. أهديها لجدي (رحمه الله).


الباب الثالث
مقال في القصة الومضة -
و ومضات قصصية

* القصّة الومضة

فن أدبي قديم الطابع حديث المحيّا[19]

القصة الومضة هي فن أدبي قديم الطابع حديث المحيّا. حيث يعتقد بعض الباحثين والنقّاد أنها وليدة "أدب التوقيعات" وهو أحد الأجناس الأدبية العربية القديمة. والذي كان مزدهرا في عصور الاهتمام بالبلاغة والصنعة ثم التصنّع والتصنيع. ومنهم من يعتقد أنّها وليدة الطرفة الساخرة وفعلا هي تشبهها في المفارقة التصويرية بين نقيضين. ومنهم من يعتقد أنّها وصلتنا من "الفلاش" أو "الميكرو" الأمريكي تماشيا مع الإيقاع السريع في الحياة. أعتقد أنّ القصة الومضة هي فن أدبي قديم الطابع حديث المحيّا. لأنّها فن مطوّر من فنون السرد كالقصة القصيرة والقصة القصيرة جدا. وهي تشبه القصة القصيرة جدا التي تطورت من القصة القصيرة في أواخر القرن العشرين ولكنها أقصر منها، ولها مقوّمات تختلف عنها. حيث لا يسمى النص قصة ومضة إلا إذا اكتملت فيه خمسة

---

[19] كتبت هذا المقال بتاريخ: 2014-09-10

عناصر: مفارقة، إيحاء، إدهاش، تكثيف وخاتمة مباغتة. كما وتحتوي القصة الومضة على عنوان يعدّ مفتاحا للنص وأرضا خصبة لإنبات الومضة.

ولها جماليات أخرى مثل مراعاة عدد الكلمات كحد أقصى من **8-10** كلمات. وأيضا جمالية وجود الفعل الحركي، تحفّز إلباس مضمون الومضة ثوب القصّ. ممّا يدعونا للتخييل الفكري وإنتاج المفارقة التصويرية. وعندما تحتوي الومضة القصصية على تلك العناصر الخمسة، فإنها تخلق برقة أدبية بعقل وقلب القارئ عند سماعها أو قراءتها، مما يجعلها تنهمر بمسامعه سلسة عذبة.

هي قصة الاختزال الدلالي. وكاتبها يحتاج إلى مقدار عالٍ من التمكن اللغوي، والثروة اللغوية الكبيرة وعليه في نفس الوقت أن يكون متمرّسا في كتابة باقي الفنون السردية كالقصة القصيرة والقصة القصيرة جدا، حتى يستطيع كتابتها بشكل دسمٍ وممتلئ المعنى بحيث يثير شجن القارئ وينفذ إلى بصيرته بأبهى حُلّة، وهنا يكمن الإبداع والتجدّد بعيدا عن الاستهلاك والتكرار.

ومضات قصصية [20]

1) قضية

شَهِدَ؛ اُسْتُشْهِدَ.

2) عاشقة

جرح الحبُّ قلبَها؛ بلسمَتهُ بأَملاحِ النسيان.

3) عقاب

نسجَ جريمته؛ وقع في شِباكِها.

[20] كتبتُ هذه الومضات القصصية بين العامين 2014 و 2015
وقد فازت أغلبها في المراكز الأولى في مختلف مسابقات القصة الومضة في العالم العربي.

4) عدوّ الإنسانية

كُلّما قاموا بدفنه؛ لفظته الأرض.

5) غزّة

وأدها العرب؛ أحيتها الترب.

6) الحاسّة السادسة

كلما نبض قلبها بسرعة؛ شيّعها هاتف.

7) غياب

جاء العيد؛ رحل الأطفال.

****

8) غزّة

بحث عن ابنه تحت الأنقاض؛ وجد طائرته الورقية.

9) قحل

أسقطت السماء المنَّ والسلوى؛ مات النباتيون.

10) تيه

احتكر الواحة؛ أضلَّه سرابها.

11) خلاص

خنقته الأحزان؛ تنفّس بالدموع.

****

12) غزّة

تعرّت ضمائر إخوتها؛ لبست ثوب الشهادة.

13) إيثار

عشقته تسعة أشهر ؛ أهدته شهيدا.

14) عروس

حبسها بسرادق أحزانه؛ ولدت له ملاذا.

15) ظلّ

باع الضمير؛ تملكته الكوابيس.

****

16) عاشقة

بنى لها قصرا وارتحل؛ أحرقته شوقا إليه.

17) نرجسيّ

استغباه الناس بالمديح؛ صار خاتما بإصبع كلّ منهم.

18) عمران

لقّحوا آلامهم برحيق الحب؛ ولد الوطن.

19) أمٌ

جرت دموعها؛ حفرت نهراً بالجنة.

****

20) محتلون

أكرموهم؛ بكى الطائي ندما.

21) راعٍ

لبس القناع؛ أطعم خرافه لحما.

22) طفولة

نسج خيمة لأحلامه؛ عصفت بها رياح الواقع.

23) غزّة

انسكبت أرواح في مخاض الشهادة؛ ولد النصر.

****

24) تطهُّر

ذابتْ ندماً؛ خَجِلَ النورُ من توهجها.

25) توهّج

سطع شعاعُ عطائِها؛ ظلّلها الحبّ.

26) نضوج

ارتشف كأس الحرمان؛ ارتوت أفكاره.

27) طاغية

خلعَ ثوبَ الإنسانية؛ التَحَفَ بِرُقَع الخطايا.

****

28) طغاة

هربوا من غيوم جرائمهم؛ أدركهم مطرُ الموت.

29) زهد

طمعوا في جمالها؛ تزوّجت أعمى.

30) صبر

كواه الماضي؛ أبى الحاضر تجعيده.

31) احتراف

كثُر القشُّ في قمحه؛ صنع منه سلّة أحلامه.

****

32) دواء

حقنه بإكسير الأمل؛ شُفيت جروحُ يأسِه.

33) ترنيمة

بَرَى قلمه؛ عَزَفَ بِهِ على أوتارِ القصيدة.

34) نابغة

عابوه خَلقًا؛ أدهشهم خُلُقًا وفكرًا.

35) ناكر

حَمَلَهُ الصّارِي إلى برِّ الأمانِ؛ خَرَقَهُ.

****

36) عنفوان

أغرق بيت أحلامها؛ سبحت في قصر كوابيسه.

37) صحوة

أيقظه استغفار والدته له؛ رجم خطاياه بملح الدموع.

38) ابتسامة

محوها؛ حمحمت.

39) أرملة

أغرقها الحنين؛ انتشلتها ذكريات السنين.

****

40) موطني

نزف غربة؛ ضمدته أرواح الشهداء.

41) إبداع

أحرقته جمرات الجرح؛ أطفأتها نسائم البوح.

42) قهر

غفا بمدينة أحلامه؛ أفزعه جرس دار الأيتام.

43) عقيمٌ

اقتلَعَ ضميرَهُ؛ نَبَتَت في رأسِهِ أورامُ الخيانةِ.

****

44) سيّد الشهداء

امتطى جواد الحق الجريح؛ بلسمت روحه حمحمة القلوب.

45) جَدّتي

تركَهَا في كوخٍ مِن لحمٍ؛ تَرَمَّلتِ الهزيمةُ.

46) عنوسة

تزوجت مكرهة؛ ذبلت تحت الظل.

47) عشق

تناغمت معزوفة قلبيهما؛ عاث الشك فيهما نشازا.

****

48) طاحون

أمرضت عيونه كل من رأت؛ نسي نفسه ونظر في المرآة.

49) صيانة

أضاع مفتاح قلبها؛ استبدلت بابه.

50) وباء

أمطرت ثلوج جهنم؛ نطق الأخرس.

51) عاشق

امتهن الخياطة؛ فشل في رتق قلبه.

****

52) صدًى

شجَنَتِ الحمامة على ضريح الطفولة؛ اشتعل برزخ الطوفان.

53) أمّي

عبرَتْ طريقُ الشّوك؛ التصَقَتْ بها رائحةُ الورود.

*****


الباب الرابع
نقد أدبي
لأدباء ونقاد في العالم العربي
لبعض أعمال الكاتبة القصصية

1) غزّة

بحث عن ابنه تحت الأنقاض؛ وجد طائرته الورقية.

......

رؤية نقدية قدّمها الأستاذ : حسن الفيّاض- مصر:

"قبل أن نلج إلى متن السرد علينا أولا أن نتناول عتبة النص (غزة) بالشرح والتحليل لأن عتبة النص هي المدخل الشرعي للسرد، والذي من خلاله نستطيع أن ندخل عالم المتن، فنتعرف على خصوصياته، وكذلك ما للعنوان من أهميةٍ كبيرةٍ في التعبير الرمزي عن مضمون الومضة ومحتواها.

غزة: مدينة ساحلية فلسطينية، تبعد عن القدس مسافة 78 كم إلى الجنوب الغربي. وهي أكبر مدن السلطة الفلسطينية من حيث تعداد السكان.

أسس المدينة الكنعانيون في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. احتلها الكثير من الغزاة كالإغريق والرومان والبيزنطيون والعثمانيون وغيرهم.

عام **635** م دخل المسلمون العرب المدينة فأصبحت مركزاً إسلامياً مهماً، خاصةً لأنها مشهورة بوجود قبر الجد الثاني للنبي محمد (ص)، هاشم بن عبد مناف، لذلك تسمى أحياناً غزة هاشم. وتُعتبر المدينة مسقط رأس الإمام الشافعي الذي ولد عام **767** م وهو أحد الأئمة الأربعة.
في التاريخ المعاصر، سقطت غزة في أيدي القوات البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى، وأصبحت جزءاً من الانتداب البريطاني على فلسطين. ونتيجة للحرب العربية الإسرائيلية عام **1948**، تولّت مصر إدارة أراضي قطاع غزة وأجريت عدة تحسينات في المدينة.
احتلت إسرائيل قطاع غزة عام **1967** (عام النكسة)، وبعد اتفاقية أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل عام **1993**، وبموجب اتفاق غزة أريحا الموقّع في **4** مايو عام **1994** انتقلت السلطة في المدينة إلى سلطة حكم ذاتي فلسطيني.
من خلال هذا السرد التاريخي الموجز لمدينة غزة يتضح لنا جليًا الترميز الدلالي الذي تبغيه القاصة من وراء هذا العنوان وهو: (غزة)، حيث النضال الشعبي والأهمية التاريخية والإسلامية للمدينة.

والآن نذهب لنقرأ معًا الشطر الأول من الومضة والذي نطلق عليه في عالم الومضة القصصية: جملة السبب.
(بحث عن ابنه تحت الأنقاض؛)
نحن الآن أمام مشهد مأساوي تتقطّع له القلوب والأفئدة. وذلك من خلال هذا الرجل الذي يبحث عن ابنه المفقود تحت الأنقاض. والتي بالطبع خلّفتها إحدى غارات أو قذائف العدو والذي لا يكترث لطفلٍ أو لشيخٍ.
وهنا تصوّر لنا القاصة مشهدًا ثنائي الدلالات: العدو الذي استباح أرض الغير فعاث فيها فسادًا بالقذائف والغارات دون رادع عربي أو أممي يُذكر.
والأب المكلوم على ابنه والذي راح يبحث تحت الأنقاض عن أمل قد قتله الظلم والتجبّر والطغيان.
والآن نذهب إلى الشطر الثاني من الومضة وهو ما نطلق عليه في أدب القصة الومضة: النتيجة
(وجد طائرته الورقية.)
من المتعارف عليه أنّ الطائرة الورقية لعبة للأطفال، وتعتمد فكرة الطائرة الورقية على جسم انسيابي خفيف الوزن مربوط بخيط أو عدّة خيوط ليطير ضد اتجاه الريح.

وهنا تلفت القاصة نظرنا إلى أنّ من اغتالت القذائف روحه وجعلت جثمانه الطاهر يرقد تحت الأنقاض هو طفل يلهو بطائرته الورقية، لتؤصّل القاصة في نفوسنا هذه الدلالة القوية. أنّ العدو لا يفرّق بين طفل يلهو بطائرته الورقية وبين شاب يافع يستطيع المقاومة، لتبرز لنا الوجه الوحشي واللاإنساني لهذا العدو الغاشم والظالم. النص في مجمله نص رائع، استطاعت من خلاله القاصة أن تفتح آفاق القارئ إلى مُراد الومضة، وهدفها، دون لبسٍ أو صعوبة، مما يجعل القارئ في حالة رضا نفسي بالومضة، دون أن تنتابه أية استفسارات.

وهنا تكمن روعة القاصّة في اختيار المفردات المعبّرة عن هدف النص ومراده ومدلولاته بصورة مكثفة حيث أننا لا نستطيع الاستغناء عن أية مفردة من مفردات النص دون أن يؤثّر ذلك على مضمون النص وهدفه. وقد جاء الإيحاء في النص حاضرًا وبقوة، وذلك من خلال جملة (طائرته الورقية)، كما حققت القاصة المفارقة الرائعة والذكية وذلك من خلال الفعلين (بحث، وجد) لتضع أمام القارئ نصًا ومضيًا متكامل البناء الشكلي والمضموني".

2) قضيّة

شَهِدَ؛ اُسْتُشْهِدَ.

....

رؤية نقدية قدّمها الأستاذ : حمدي الكحلوت - الدوحة

"توقفت عند هذه الومضة لأنّها لفتت انتباهي بلغتها البرقية المكثّفة في كلمتين فقط، ولكنهما تختزلان إيحاءات تؤول في صفحات، وسأكتفي بقراءة سريعة بدءًا من العنوان: (قضية) الذي يمهّد لحدث مهم و يحضّر الذهن لمحكمة ومحاكمة فيها متهمون وشهود وقضاة، وإذن نحن إزاء رسالة حملها شاهد شجاع في قضية وأدلى بشهادته بما أملاه عليه ضميره، فماذا كانت النتيجة؟ الكلمة - الشطرة في نهاية الومضة- البرقية تفاجئنا بأنه (استشهد) كجزاء ظالم لفعل عادل وهو أنه (شهد) بالحق. ومضة بليغة محكمة ومدهشة بأقل كلمات ممكنة".

****

رؤية نقدية قدّمتها الأستاذة : نجوى غنيم - السعودية

"جرى العرف أن الجزاء من جنس العمل، ولكن الأمر هنا اختلف، فشهادته بالحق أدّت إلى قتله فمات شهيدا. ممّا يؤكد لنا أن الحدث يُعدّ قضية كبرى، فعندما يسطو الباطل وتموت الأخلاقيات ينعدم الأمان. ومضة سامية بفكرها، بليغة، موحية، عميقة في دلالتها...
كل التقدير لكاتبتها".

****

رؤية نقدية قدّمتها الأستاذة : صفية يوسف - اليمن

قضية الشهادة: شهِد; استشهد. مختزلة جداً وعميقة، وواضحة كذلك لا تحتمل عدة تآويل، وربما كمقدمة ونتيجتها الواضحة لأن الشهادة لا ينالها إلاّ صادق والشهادة بالحقيقة هي التي أوصلته للاستشهاد، فلا يعدّ شهيداً إلا من قتل في قضية كان فيها على حق، ومن يقتل على باطل ليس شهيداً، فلو كانت الومضة: شهِد قُتِل. لعرفنا فوراً أن قضيته قد تحتمل التأويل أو التخمينات بكون الشهادة باطلة والقتل جزاء له لفعلته. ولكن، شِهد؛ استشهد. لا تحتمل إلاّ بُعد واحد كنتيجة واقعية، ومضة جميلة في شكلها وتناغم حروفها الايقاعية السلسة، محدودة التأويلات لأنّها بالأساس تحمل فكرة بسيطة، وتكمن فيها براعة الكاتبة بصياغة اللغة في أقلّ عبارات بأسلوب غني".

****

3) عروس

حبسها بسرادق أحزانه؛ ولدت له ملاذا.

....

رؤية نقدية قدّمها الأستاذ : محمود السنوسي - ليبيا

العنوان "عروس" وفّقت الكاتبة الى حد بعيد في اختيار عتبة جميلة للنص. والتي بدورها شكّلت مفارقة مع باقي النص عند قراءة المتلقي له، فالبطل والبطلة صاحبتهم حركات سريعة ومتداخلة، جعلت التصوير الفني يطغى على عنصر الإدهاش ويشكّل أوّل مفارقات النص بين ما تكون عليه العروس من فرح وسعادة، وهي الحرية المطلقة للبطلة، وكيف أنّ البطل قيّد حريتها وأنعم عليها بأحزانه وانهارت السعادة وكانت الخاتمة المباغتة "ولدت له ملاذا". إذا فجمال هذه الومضة ينبع من ترك هذا الملاذ مفتوحا على مصراعيه للتأويل لكل قارئ ((ملاذا: هل هو طفلهم البكر، هل خلعته وحررته من نفسه، هل زرعت الفرح في أيامه وانتصرت على حزنه وخاصة أنّ السرادق لايدوم طويلا و يفك ... الخ)) ومضة رائعة بكل المقاييس".

نسيجُ الحبٍّ

طَبعتْ شكلَ الإبرةِ في راحتَيها. مَا زالتْ تَبكي زوجَهَا الذي لَمْ يَرجعْ بعدُ مِنَ الحربِ. جفّفَتْ دُموعَهَا بكلِّ ثوبٍ صنعَتْهُ. وبقيَ حُلمُ العَودةِ يُراودُهَا، حتّى لاحَ في الأفقِ ثوبٌ أبيضُ يمتطِي حِصاناً أسودَ. أطبقَتْ عينيَهَا بابتسامةٍ صغيرةٍ وبيدِهَا جرحُ الإبرةِ لآخرِ ثوبٍ حاكتهُ دُموعُهَا.

....

رؤية نقدية قدّمها الأستاذ : د.خالد التوازني - المغرب

يفصح النص عن هويته انطلاقا من العتبات الأولى؛ العنوان وبداية القصة ونهايتها.. (نسيج+ الإبرة+ثوب حاكته) لتتشكل هذه الهوية من أدوات خياطة ونسج، لكن ما طبيعة المنتوج "النسيج"؟ يشير العنوان بوضوح إلى أن الأمر يتعلق بــ"نسيج الحب"، وتؤكد العتبات هذه الدلالة عبر الألفاظ الآتية (الحب+طبعت+دموعها)، وبقراءة النص الرئيس نلمس طابع الحزن العميق باعتباره حقلا دلاليا مهيمنا بقوة عبر الكلمات الآتية:

(تبكي+دموعها+أسود). وإذا كان "الحزن" واضحا عبر ألفاظ مباشرة فهناك حقل دلالي آخر يُفهم من السياق ويختفي وراء السطور، وهو حقل "الوفاء" نستشفه في العبارات الآتية: (مازالت+بقي+حتى لاح+ لآخر ثوب). هكذا يظهر أن أحداث القصة تدور حول استشهاد رجل في معركة ما، هي معركة حياة أو حرب حقيقية، لكن المهم في القصة أن زوجة الشهيد وهي في مخيمات اللاجئين، ظلّت وفية لذكراه. حيث بلغها نبأ استشهاده، بكت، لكن جفّفت دموعها بكل ثوب صنعته، أي بكل خصلة من خصاله الطيبة تتذكرها إلا ويخف حزنها (جففت دموعها بكل ثوب صنعته: بكل صفة نبيلة كانت فيه، زاد حبها له)، تعرف يقينا أن زوجها لن يرجع لأنه استشهد، لكن حلم العودة؛ عودتها إلى بلدها ومغادرتها للمخيم، ظل هذا الحلم يتكرر كل ليلة، مضى زمن طويل، لم يرجع الشهيد، كانت متأكدة، لكن حلمها بالعودة لم يتحقق، لأن الموت باغتها فجأة، عندما (لاح في الأفق ثوب أبيض يمتطي حصانا أسود، هو نعشها، ولذلك أسلمت الروح لباريها حين أفصح النص عن هذه اللحظة، لحظة الخلاص، حيث ستلتقي من تحب، هناك في

العالم الآخر، ولذلك ابتسمت وهي تغادر إليه: (أطبقت عينيها بابتسامة صغيرة) ولترفع سبابة يدها بالشهادة (وبيدها جرح الإبرة) جرح أمة لم تنصرها، بل خذلتها، ولم تحقق حلم العودة، وبقيت تناضل وحدها (هي الشعب الفلسطيني) لآخر ثوب حاكته دموعها، الموت في الحرب، أو الموت حزنا على من مات فيها، أو الموت حزنا على من لم ينصر أهله، أصبحت الدموع خيوطا تنسج أي تعبر عن وفاء للشهداء وحب لمن بقي في المخيم وفي ساحات المعركة وأيضا تعبر عن حزن على الفقدان وحزن على الخذلان... وبينهما وجع وألم وأمل ونسيج حب أبدي.

القصة عبارة عن مشهدين الأول مباشر وهو مشهد مأساوي لشهيد يسقط كل يوم وحزن أم أو زوجة، لا يخفف وطأته سوى تذكر ما أعده الله للشهداء من خير وفير.. والثاني ضمني غير مباشر وهو مشهد تخلّي العرب عن قضية فلسطين...

****

إكسيرُ الخلود

تَجمّدت وسطَ الرمالِ، انغرست كالنخلةِ تُظلّل جسدَ أخيها الطاهرِ من حرِّ الشّمس.
تفجَّرت دموعُ عينِها وقلبِها. دموعٌ انتفضت لكسرِ قضبانِ هواجسِها التي حَبَسَتها لعشراتِ السّنين...
ومازالت تُكَفكِفُها بمنديلهِ الأبيضِ الّذي أهداهُ لها في مدينةِ الطّفولة.
عبقُ عطرهِ في المنديل يسترقُها مِنَ الحدث... يُعيدها إلى أرجاءِ بيتِ الرِّسالة...
شتّان ما بين الأمسِ واليومِ... بالأمسِ يحنو عليها بذراعيّ حميتِه... اليوم تحتضِنُهُ بذراعي الرزيّة...
عَبَقُ الرّيحانِ المنتشرِ معَ هبوبِ الرّمالِ الصارخةِ... يعودُ بها أسيرةً من قافلةِ الذكريات...
دَنَت مِنه... علَّها تستشعرُ بقايا دقات قلبِهِ...
تستنهضُهُ بحُرقةٍ:
أخي... قلبي ممزقٌ بينَ أوصالِكَ الطاهرة؟!
يا ابنَ أُمّي وأبي وحبيبَ جدِّي، إلى من أشكو جروحَ المنايا والبلايا؟! مَن سيطفئُ لهيبَ وطني؟!

نظرَت إلى السّماءِ كأنّها تنتظرُ شيئًا، ثمّ تعطّرت بثيابِ أخيها للمرّةِ الأخيرةِ قبلَ أن يحملُها العدوُّ بعيداً عن جُثمانِه الطّاهرِ.

يكتنفُها العدوّ... يشدُّ وثاقَها... يتباهى بأسرِها... يُمعِنُ في تعذيبها... يُدخلونها باحةَ قصرِ الحاكمِ... يخاطِبُها بعنجهيَّتِهِ المعهودة... يشمتُ بها بجبروتِهِ.

تُدير طرفَها نحوَ إحدى زوايا القصر... تستنشقُ عطرَ أخيها المنبعثِ من رأسِه المنصوبِ على سنانِ الرُّمحِ...تتأجّجُ روحُ الإباءِ في صدرِها...

نزفَ قلبُها مئاتٍ من بناتِ العينِ الثّكلى، فراحت تنهمرُ حُبًا داخلَ قارورةِ الوفاءِ الّتي منحها إيَّاها وهيَ طفلةٌ صغيرةٌ، لتمسحَ بها رمالَ الخيانةِ.

عندها رأَت أنَّهُ ما زالَ يتراكضُ بينَ أحضانِ جدِّهِ، يتعبُ ثُمّ يغفو تحت عباءتِهِ. وعندما يستيقظُ، ينظرُ متأمِّلاً وخائفًا على زمرةٍ مِنَ النّاسِ، يتلذَّذُ الجمرُ بأكلِهم .

يستفزّها الحاكمُ بضحكتِه المستهزئة... تفيقُ من حُلُمِها لترمُقَهُ بنظراتها الغاضبة... تنتصرُ لها الكلماتُ والمبادئُ... تتفجّرُ على لسانِها ثورةٌ أخرى... يلوذُ الحاكمُ ببقايا

جبروتِه المنهزِمِ، يستعينُ بعباءةِ مكرِهِ ليغطّي فضيحتَهُ... يندثرُ كلُّ الطُّغاةِ... ويُعلَنُ عطرُ أخيها منتصراً.

....

دراسة نقدية قدّمها الأستاذ : د.فارس عودة – العراق

انتصار التراجيديا (بين موتها الأرسطي وميلادها النيتشوي)

قراءة في قصة (إكسير الخلود) الفائزة بالمركز الأول في مسابقة مؤسسة مهد الحضارات الأدبية في العراق تحت عنوان (مسابقة الحسين شهيد الإنسانية وحقوقها) للأديبة القاصة الفلسطينية (عايدة مغربي)

بسطت التراجيديا نفوذها النفسي عبر وجودها السردي والدرامي، منذ نشأتها لأول مرة بصورة ارتجالية[1] على يد قادة الديثرامبوس (**dithyrambos**)[2]، وحتى الآن، خاصّة مع ما ترتكز عليه من أبعاد نفسية وأخلاقية أساسية وهي إثارة الشفقة والخوف وتحقيق الصدمة النفسية للتنبيه على معنى من المعاني الإنسانية السامية كالعدل والإنصاف والرحمة والنبل والخلود وغيرها.

ولعل الصدمة النفسية هي أهم ما تصبو إليه التراجيديا من خلال أحداثها، محاولةً أن تخلّد في الأذهان تلك المعاني الإنسانية السامية التي جعلت التراجيديا من بطلها أضحية لتحقيقها من خلال انفعالي الخوف والشفقة اللذان يشكلان ذلك الإحساس تجاه شخص تعرّض لبليّة لا يستحق الوقوع أو التورط فيها[3]، وبتلك الصدمة تصل التراجيديا إلى التطهير الأرسطي الذي يعيد إلى المتلقي توازنه الانفعالي[4].

ولكن هل هذا يعني أن التراجيديا هي من تخلق المعاناة؟ أم أنّ المعاناة هي من تؤدي دور الخلق للتراجيديا؟

يجيبنا أرسطو على ذلك بأن التراجيديا هي "محاكاة لفعل جاد تام في ذاته"[5]، أي أنها تولد من رحم المعاناة وتتصور محاكية لها، ويبدو هذا واضحا من خلال ما يعتقده الإغريقيون من أن الإله (ديونيسيوس)، إله الخمر والبهجة والنشوة هو الملهم الأول للديثرامبوس وللتراجيديا، فلقد كان (ديونيسيوس) نفسه، بطلاً تراجيدياً أسطورياً، فأسطورة ولادته تعدّ رائعة من روائع أساطير التراجيديا، إذ كانت ولادته مثار معاناة وألم

كبيرين، بسبب الاعتقاد بأنه ليس ابنا للإله زيوس، وإنما هو ابنٌ لبشر آخر اغتصب أمه (سيميلي)، لكنها ادعت أنه من زوجها زيوس، وكانت تهمة الاغتصاب هذه، من ابتداع (كادموس)، وهو أبو (سيميلي)، فتلقفتها ألسنة شقيقاتها؛ فنشرن هذا الافتراء ضد أختهن، مما جعل (ديونيسيوس) – لاحقا - ينتقم لها منهن بإصابتهن بالجنون، وإخراجهن خارج القصر إلى الجبال[6]، أما (كادموس) فيحيله إلى ثعبان[7].

إن المعاناة تعدّ جزءاً ثالثاً، مهمّا، من أجزاء التراجيديا وهو (الباثوس)، بعد جزئيّ (التحول والتعرف)، والذي يصفه (أرسطو) بأنه "المعاناة المستشفِقة" [8].

وعلى الرغم من أنّ النقاد الإغريق – آنذاك – هاجموا (يوربيديوس) - وهو أحد شعراء التراجيديا الثلاثة العظام- ولاموه على أنه قد تميّز بإنهاء أكثر مسرحياته بنهايات غير سعيدة، إلا أن (أرسطو) يرى تخطئتهم، وعد النهاية غير السعيدة للتراجيديا بأنها النهاية الصحيحة لها، لأنها تكون أعظم تأثيراً من الناحية المأساوية، وبذلك كان (يوربيديوس) من أبرز شعراء الدراما من

الناحية المأساوية[9]، فيما على عكس ذلك نجد أن (نيتشه) يرى أن التراجيديا هي "بؤرة الحياة الأبدية وانفتاح لا نهائي نحو الآفاق المجهولة. وإن التراجيديا مقاومة للموت، وممارسة للذة في الألم"[10].

إن التأكيد على المأساة كشرط رئيس للتراجيديا، لم يكن ليبلغ ذروة المأساة إلا من خلال (البطل التراجيدي)، فكان ثمناً لتلك البطولة النهاية المأساوية الصادمة، التي تكون فيها التراجيديا في ذروة لذّتها وانتشاءها، إذ كان موت البطل التراجيدي، عرفاً أساسياً من أعراف التراجيديا.

إن اتكاء التراجيديا على المأساة والمعاناة، لم يأت من مجرد فكرة خطرت لمبتدع فنشرها، وإنّما هو نابع من دراسة – ولو استقرائية على الأقل – لما تسببه مأساة إنسان فاضل يتعرض للمعاناة والمشقة، من هزّة نفسية في ذهن المتلقي، تصل – في كثير من أحداث التراجيديا- إلى مستوى الصدمة النوعية العامّة.

أما من وجهة نظر نيتشه فإن الروح العلمية بطابعها الديالكتيكي هاجمت الطاقة المولدة للأسطورة ومن ثم أنها قتلتها[11]، وكذلك هي قد قتلت التراجيديا.

وإجبار البطل للدخول في نقاشات دفاعٍ عن أفعاله بحجج مضادة، يجعله يغامر بفقدان التعاطف التراجيدي للمتلقي معه[12]، وهو ما يعدّه (نيتشه) قتل للطاقة المولدة للأسطورة.

إن موت التراجيديا في منظور (نيتشه) ينطلق من الفكر السقراطي، فيستشهد بثلاثة أقول مشهورة لسقراط: "الفضيلة هي المعرفة، وكل الخَطَأة يأتون من عوالم الجهل، والإنسان الفاضل شخص سعيد"[13]، فيرى (نيتشه) أن هذه العبارات تحمل في طياتها موت التراجيديا، معللاً ذلك بأن البطل الفاضل يجب أن يكون جدلياً[14]، وهو محق إلى حدّ ما، من هذه الناحية، وهذا ما نجده في شخصية كل بطل تراجيدي مادام ضحية للدفاع عن المبادئ الإنسانية السامية التي غالبا ما تُضلّل ويعتم عليها. وهذا ما يتجسد حقيقة في ثورة الإمام الحسين بن علي (ع) الذي أحيط بقضيته كم هائل من الجدليات.

وعلى الرغم من هذه النقطة المهمة التي يثيرها (نيتشه) إلا أن التراجيديا، انتصرت لذاتها وتطورت على المستوى السردي والدرامي، وتقمّصت جميع أنواع السرد، وساد نحو من التوليف بين الطابع الديالكتيكي لبطلها التراجيدي والطابع النفسي المأساوي الذي يبث روح المأساة والمعاناة فيها. بل أصبح بإمكان الكاتب أن يقنّع نصّه التراجيدي بقناع يخفي فيه الوجه الديالكتيكي لبطله، وهذا ما انتهجته القاصة (عايدة مغربي) في قصتها (إكسير الخلود) الفائزة بالمركز الأول في مسابقة (الحسين شهيد الإنسانية وحقوقها) لعام **2015**، التي أقامتها مؤسسة مهد الحضارات الأدبية في العراق، وهي من ضمن مجموعتها القصصية: (جرح الياسمين)، عن دار ديوان العرب للنشر والتوزيع- مصر.

ولذلك فإننا نجد أن الوجه المأساوي هو الطاغي على مضمون نص هذه القصّة، الذي يطل علينا بدلالاته من خلال عدّة جمل خبرية مثل: (تَجمّدت وسطَ الرمالِ...) (انغرست كالنخلةِ تُظلّل جسدَ أخيها الطاهرِ من حرِّ الشّمس)، (تفجَّرت دموعُ عينِها وقلبِها...)، (دموعٌ

انتفضت لكسرِ قضبانِ هواجسِها التي حَبَسَتها لعشراتِ السّنين... ومازالت تُكَفكِفُها بمنديلهِ الأبيضِ الّذي أهداهُ إليها في مدينةِ الطّفولة).

فيما بقي الوجه الديالكتيكي للقصة متخفياً تحت هذا الغطاء يثير تساؤلات، عن سبب تجمدها وسط الرمال، وانغراسها كالنخلة لتشكل ظلاً لجسد أخيها من حر الشمس، لِمَ لَمْ تظلله بشيء آخر، وهذا إيحاء إما عن عدم وجود ما يمكنها أن تصنع منه ظلاً، وبين عدم الاستطاعة التي تبدو مع مجريات أحداث النص إنها هي السبب في اضطرارها للتظليل بجسدها، متحدية قرار الطاغي بإبقاء جسد أخيها المقتول تصهره حرارة الشمس، لكنها اضطرت بعد ذلك أن تفارق جسده، بسبب الأسر والسبي من جيش قاتل أخيها، ثم بعد ذلك تتبدى معركة التراجيديا في صفحتها الأخرى إذ تنطلق ثورتها مع بطلتها التراجيدية (زينب بنت علي) أخت (الحسين) التي "يستفزّها الحاكمُ بضحكتِه المستهزئة"، فيوقظ النار الكامنة تحت رماد فواجعها؛ "فتفيقُ من حُلُمِها لترمُقَهُ بنظراتها الغاضبة" وتلك النظرات الغاضبة كانت بداية

الريح العاصفة و الثورة بوجه الحاكم الطاغي المستبد، منزوع الإنسانية، وهذا ما صرّحت به القاصة في نصّ قصتها: ((تتفجّرُ على لسانِها ثورةٌ أخرى...))، وهنا يبدأ العمل التراجيدي الجديد للقاصة وكأنها في موقف تذمّر من نهايات يوربيدوس، غير السعيدة، التي دافع عنها أرسطو وانتقد منتقديها؛ لتعلن انكسار الحاكم الطاغي وهزيمته كما هو بيّن من العبارات: ((يلوذُ الحاكمُ ببقايا جبروتِه المنهزِمِ/ يستعينُ بعباءةِ مكرِهِ ليغطّي فضيحتَهُ))، ومن ثم تعلن عن الهزيمة الكبرى لخصوم بطلتها التراجيدية، الذين أرادوا لبطلتها الذل فذلوا أمام جبروت صمودها وإباءها وشجاعتها، وأرادوا بتعرية جسد أخيها المقتول أن يندثر منصهرا بحرارة الشمس، بيد أن القاصّة أعلنت - ومن خلال جدلية (الهزيمة/ النصر) المقنعة خلف مأساة قصتها- انتصار التراجيديا، لتجعل الطرف الأقوى في معركتها مهزوماً؛ فتصرّح بأنّ "اندثرُ كلُّ الطُّغاةِ" ولتقف بطلتها التراجيدية، منتصرة، انتصاراً مادياً، بعد إقحام الحاكم الطاغي المتسلط وفضحه، وإفشال مخططه، مادياً ومعنوياً، وليكلل موقفها الشجاع بنصر معنوي ومادي للقضية التي ضحّى أخوها من أجلها، وهو

بقاء الإنسانية وعبقها خالداً تدب فيه الحياة، من خلال عطرُ أخيها الذي تعلنه القاصّة منتصراً.

إن الارتباط الشرعي والتاريخي، والواقعي لأيّ مأساة - كمأساة الإمام الحسين(ع) - يقيّد الكاتب، ولا يسمح له بالخروج عن الحدود الواقعية للقصة لينطلق في فضاء الخيال الأدبي، والخيال الأسطوري، لذلك فإنّ الكاتب الذي يمكن له أن يوفق بين خياله السردي، والمرجع الواقعي لحدث تاريخي ما، لابد وأنّه يمتلك مقومات كبيرة، تمكن بواسطتها من التحكم في مادة السرد، كطينة سحرية في يد ساحر، لا العكس؛ فيكون السرد متحكما في الكاتب ومحدداً لفضائه وخياله السردي.

ولذلك فإن هذه التوليفة السردية بين الخيال والواقع لقصّة (إكسير الخلود) أنتجت منها مفارقة تراجيدية جميلة، فعندما تصرع تراجيديا (إكسير الخلود) كل الطغاة، أمام بطلها التراجيدي الفاضل (الحسين بن علي)، وأخته (زينب)، تسير على عكس خواتم التراجيديا الإغريقية، التي سعت جاهدة لإثارة الشفقة على حساب بطلها، بل تراجيديا الحسين، امتدّت إلى ما هو أكبر من

ذلك في نص (إكسير الخلود) فصرعت كل الطغاة، غير متموضعةٍ في المفهوم السائد للطاغية، والذي يتمثل في الملك والرئيس والقائد، وإنما تتعداه إلى صورة شمولية، تأخذ في طياتها طغاة آخرين كطغاة الدين الذين أنتجوا فكرا دينيا مشوها، ومشوشا للفكر، والقضايا الدينية، وصنعوا لأنفسهم صنمية جديدة، تتعدى في خطورتها صنمية الحجر والوثن، فأصبحت قنبلة هيدروجينية موقوتة تهدد الحياة والإنسانية، تنفجر هنا وهناك لتخلط عطر الإنسانية برائحة النار والدخان الممتزجة برائحة البارود والمتفجرات، ورائحة الشواء البشري المأساوي، وكما أراد أرسطو ومن قبله يوربيديس أن يقول إن للإنسانية عطراً، يبقى منبعثاً، على الرغم من كل المعاناة والمأساة التي يعاني منها الإنسان الفاضل (بطل التراجيديا)، وكما أراد نيتشة للتراجيديا أن تحيا وتولد من خلال الموسيقى، فإن تراجيديا (عايدة مغربي) انتصرت لبطلها التراجيدي، وأعلنت عن عطره، الذي يحيل برمزيته، إلى روحه، وقضيته الإنسانية النبيلة، ومبادئه التي ثار من أجلها، والتي استحقت منه كل تلك التضحيات، وعادت لتعزف موسيقى النصر، من خلال

الصفحة الثانية لثورته، التي قادتها أُخته (زينب)، والتي نهضت من بين ركام المأساة والفاجعة، كطائر الفينيق، وكالأسد الجريح لتنتفض ضد القاتل الطاغي، وتزلزل عرشه، وتلجئه إلى الموت الذي أراد بطغيانه أن يُفلت منه.

****

(الهوامش التي وردت بنقد القصة)

1. ظ: فن الشعر، أرسطو طاليس، ترجمة : د. ابراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو، مصر العربية، ص81.
2. الديثرامب (dithyrambos) عبارة عن مقطوعة دينية شعرية غنائية راقصة، كانت تؤديها جوقة مؤلفة من خمسين رجلاً، مقنعين في جلود الماعز، حول مذبح الإله ديونيسوس، رب الكرم والخمر، والخصب بوجه عام. أنظر: فن الشعر، ص60.
3. ظ: فن الشعر، الهامش (11)، ص 102.
4. ظ: المصدر نفسه، ص103.
5. ظ: المصدر نفسه، ص95.
6. ظ: عابدات باخوس، يوريبيديس، ترجمة: د. عبد المعطي شعراوي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة مصر، 1997، ص120-178.
7. ظ: المصدر نفسه، ص175.
8. ظ: فن الشعر، ص123.
9. ظ: المصدر نفسه، ص133.
10. مفهوم التراجيديا عند نيتشة، إدريس جبري، مجلة (فكر ونقد)، العدد (15)، 13 / 1 / 1999 ، ص10.
11. ظ: مولد التراجيديا، فريدريك نيتشة، ترجمة: شاهر حسن عبيد، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية - سورية، 2008، ص200 – 201.
12. ظ: المصدر نفسه، ص177.
13. ظ: المصدر نفسه، ص177.
14. ظ: المصدر نفسه، ص178.

السيرة الذاتية للكاتبة



عايدة هنداوي مغربي شاعرة وقّاصة من مواليد وسكّان مدينة عكا. متزوجة من الفنان التشكيلي عبد الرحمن مغربي. وأم لثلاثة أطفال صغار: فريد، محمد وليان. تعمل حاليّا معلمة للغة العربية بثانوية الشاغور في قرية مجد الكروم.

كما وعملت سابقًا في عدّة أطر ومجالات منها:

*معلمة مساعدة في جامعة حيفا في دورات اللغة العربية وآدابها، ودورات التربية والتعليم.

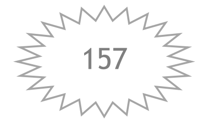
*مرشدة أكاديمية لأبحاث الطلاب الجامعيين في اللغة العربية.

* مرشدة أكاديميّة لأبحاث الخمس وحدات في اللغة العربية لطلاب الثانوية.

*مرشدة مركّزة لمشروع التوجيه المهني للمرحلة ما قبل الجامعية.

* معلمة للغة العربية بثانوية نعمت التكنولوجيّة في قرية مجد الكروم.

....



* شهادات جامعيّة :

حاصلة على اللقب الأول والثاني (الماجيستير) بامتياز في اللغة العربية وفي إدارة المؤسسات التربوية من جامعة حيفا، بالإضافة إلى حصولها على شهادة التدريس بامتياز من الجامعة. كما وأنها تحضّر رسالة الدكتوراة في اللغة العربية بجامعة تل أبيب.

وعنوان الرسالة هو:

"الحلم في القصّة القصيرة العربية منذ هزيمة 1967 وحتى نهاية القرن العشرين"

* تتحدث أربع لغات: العربية، العبرية، الإنجليزية والإيطالية

* تكتب الشعر، الخاطرة، والقصّة منذ نعومة أظفارها.

وتنشر قصائدها وكتاباتها في مختلف المجلات الأدبية كمجلة "ميس" ،"مواقف"، "شذى الكرمل" "كِتابُنا كُتّابنا" ، وعلى صفحتها في الفيسبوك وفي الجرائد والمواقع العربية في البلاد وخارجها.

....

* أعمال تطوّعيّة ومشاركات أدبيّة :

* **2009 - 2005** : في فترة عملها كمعلمة مساعدة في جامعة حيفا في دورات اللغة العربية وآدابها، ومختلف دورات التربية والتعليم. تطوّعت في مشروع "المشاركة الاجتماعية" للطلاب العرب في الجامعة، وخلال سنوات تطوّعها حصلت على جائزة الامتياز في هذا المشروع من مؤسسة "ليندا" للتربية والتعليم.

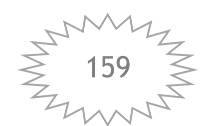
* تطوّعت بالعمل في نادي الكشّاف الإسلامي في عكا.

*** 2016 -2008**: مدقّقة لغوية لقصص الأطفال ومديرة المنتدى الثقافي في جمعية "عكا بلدي" لإحياء الفن والتراث والشعر و اللغة العربية.

* **2019 – 2013** : عضو في الاتحاد القطري للأدباء الفلسطينيين- الكرمل.

*عضوّ في صالون غسّان كنفاني الثقافي للقرّاء.

* قامت بالتطوّع في إلقاء محاضرات في المدارس العربية في أنحاء البلاد خصوصا في دورة الكتابة الإبداعية للمبدعين الصغار في



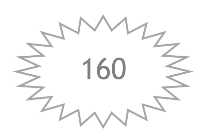
مدرسة تيراسنطة، والثانوية التكنولوجية اورط بمدينة عكا ومدرسة المريج بقرية نحف.

* تطوّعت بإقامة مسابقات المعلومات العامّة للطلاب وبتولّي عرافة حفلات التخريج كما وأقامت لعدة سنوات العديد من احتفالات يوم اللغة العربية في ثانوية نعمت- مجد الكروم. وقامت بكتابة مختلف التقارير الصحفية الخاصة بحفلات التخريج، الأمسيات والمهرجانات الشعرية وأيام اللغة العربية والمسابقات الأدبية وقامت بنشر تلك التقارير في مختلف المواقع الالكترونية، والجرائد والمجلات الأدبيةالمحليّة.

* شاركت الشاعرة والقاصة عايدة مغربي في الكثير من الأمسيات والمهرجانات الشعرية التي دُعيت إليها في مختلف أنحاء البلاد وخارجها. من ضمنها مهرجان "شعري لغتي 2" في جامعة تل أبيب، ومهرجان الشعر في مدينة الطيبة.

*وتوّلت عرافة العديد من الأمسيات والمهرجانات الشعرية، منها :

*مهرجان "عكّاظ" الأدبي الفني والثقافي، الذي يقام سنويا في بلدتها الصامدة عكا ويستقطب المبدعين من كل البلاد في فلسطين المرابطة.



*المؤتمر التحضيري الثاني للاتحاد القطري للأدباء الفلسطينيين- الكرمل.

ـ لقاء "الشعر والشعراء الخامس" في بيت مؤسّسة محمود درويش للإبداع في كفر ياسيف.

ـ أمسية تكريم الشاعر أحمد فوزي أبو بكر في بيت مؤسّسة محمود درويش للإبداع في كفر ياسيف.

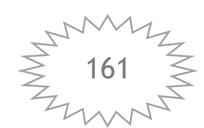
....

*حاصلة على عدّة جوائز علمية وأدبية منها:

*عام **1996**: حصلت على الميدالية الذهبية بالتخنيون في مسابقة المدارس القطريّة "مشروع الفيزياء غدا **98**"وهي لا تتعدّى اثنيّ عشر عامًا.

*عام **2005** : حصلت على جائزة الشعر من جمعية هيليكون الأدبية.

*عام **2007**: حصلت على جائزة الامتياز للتعليم العالي من مؤسسة "أوتو فرنر" الألمانية.



*عام **2010**: حصلت على الجائزة الكبرى في مسابقة القصة القصيرة المحلية في البلاد والتي كانت برعاية مجلة الشروق في "كفر قاسم " عن قصتها "دعاء إمرأة".

*عام **2016**: فازت بالمركز الأول بمسابقة الشعر على اسم البروفسور الراحل "جاد يعقوبي" في جامعة تل أبيب.

*عام **2017**: حصلت على جائزة "نوبل الشعر" في منتدى الديوان ملتقى الأدباء في العالم العربي.

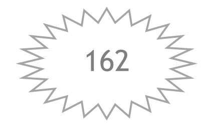
* حصلت على منحة الامتياز كطالبة دكتوراة من مجمع اللغة العربية في الداخل الفلسطيني.

*قامت جمعية المنبر النسائي في عكا بتكريمها في حفل خاص للأدباء والشعراء والمبدعين المتطوعين لخدمة البلد.

....

* مشاركات أدبية ونقديّة وحصولها على المراكز الأولى في المسابقات العربيّة الدوليّة:

* **2018 - 2014** : تعتبر من الرّواد في كتابة جانر القصة الومضة وتطويره.



* حصلت على العديد من المراكز الأولى في كتابة القصة الومضة من مختلف الرابطات العربية للقصة الومضة في الوطن العربي. وتمّ اختيارها كناقدة وعضوة إدارة في لجنة التحكيم بالرابطة العربية للقصة الومضة.

* حصلت الأديبة عايدة مغربي على المركز الأول في كتابة القصة القصيرة جدا تحت رعاية مسابقة مهد الحضارات وصحيفة كاسل جورنال عن قصتها "نسيج الحب". وكذلك فازت بالمركز الأول بالقصة القصيرة جدا عن قصتها "تضحية" وأيضا حصلت على المركز الأول عن قصتها القصيرة "إكسير الخلود بمسابقة

"الحسين شهيد الإنسانية". وغيرها من المراكز الأولى في الشعر، والخواطر، القصة القصيرة وغيرها من الفنون السرديّة في مختلف الرابطات الأدبية في العالم العربي. حيث مُنحت عدّة شهادات تقديريّة.

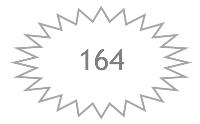
* تمّ اختيارها بعد ذلك كمحكّمة وناقدة في مسابقات الشعر، القصة القصيرة، القصة القصيرة جدا، القصة الومضة والخاطرة في العديد من المجلات والصالونات الأدبية كمجلة نجوم الأدب والشعر، صالون الفياض الأدبي، رابطة أدباء القصة الومضة والقصّة القصيرة جدًا، نيازك الومضة، حكاياتنا العربية ،منتدى

الوتر الحزين، الديوان ملتقى الأدباء وغيرها من المجموعات الأدبية في مختلف أرجاء الوطن العربي.

* كتبت عنها جريدة عين الشعب المصرية، وأجريت معها عدّة مقابلات وحوارات في العالم العربي، كالحوار الذي أجرته معها صحيفة "كاسل جورنال" العالمية، ومقابلة في البرنامجين المصريين " قصر الأميرة " و "روح الحديث ".

* تطوّعت أيضا كمديرة لمنتدى "فن القصة الومضة" ومن خلاله أقامت عدة مسابقات منها: "من غزل الإبداع تنبض الحياة" ومسابقة "الومضة الشعرية"، "جواهر القصّة القصيرة" ومسابقة للإعراب بعنوان "لآلئ اللغة" كما وأنّها تثري الجميع من خلال عرضها اليومي لأيقونات اللغة العربية وقواعدها وفوائدها.

....



* لديها خمسة إصدارات وهي :

1) شهادة المرأة في الإسلام (رسالة ماجيستير من جامعة حيفا- 2009).

2) جدّتي وشجرة الزيتون (قصة للأطفال). عن دار ببلومانيا للنشر والتوزيع- القاهرة، **2018**.

3) جرح الياسمين (مجموعة قصصية). عن دار ديوان العرب- مصر، **2019**.

4) شعلة السرار (ديوان شعر تحت الطبع). عن دار ديوان العرب- مصر، **2019**.

5) قهوة البوح (ديوان شعر تحت الطبع). عن دار ديوان العرب- مصر، **2019**.

كما ولديها مقالات نقديّة، ودراسات أدبية في الأدب القديم والحديث، وفي الأدب العبري المقارن، و سيتم نشرها قريبا في كتاب.

* لديها خمسة إصدارات مشتركة مع عدّة أدباء محليّا ودوليّا:

* شعر حديث عربي وعبري. من إصدار جمعيّة هيليكون في تل أبيب. عدد رقم **75**، شتاء **2007**.

* شاركت في عاميّ **2017**- **2018**: في تأليف أربعة كتب مع عدّة ادباء في العالم العربي وهي:

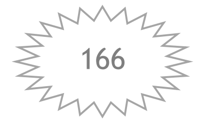
"ترانيم القصص" قصص قصيرة جدًا " - "قلم رصاص" خواطر-

"وميض النجوم " القصة الومضة - "ديوان العرب" قصائد شعر

عن دار ببلومانيا للنشر والتوزيع- القاهرة.

وما زالت ريشتها تبدع القصائد، الخواطر، القصص القصيرة، القصص القصيرة جدا والومضات القصصية التي تحاكي مختلف المواضيع الإنسانيّة، الصوفية، الرومانسيّة، الاجتماعية، والوطنية.

****



* شهادات تقدير حصلت الكاتبة فيها على المراكز الأولى بمسابقات القصة بمختلف أنواعها محليّا ودوليّا :






٥ سبتمبر ٢٠١٤
شهادة تقديرية
تتشرف الرابطة العربية لمسابقات القصة الومضة ,بمنح هذه الشهادة
التقديرية للكاتب (ة)المبدع (ة): عايدة مغربي
تقديرا له (ها) واحتفاء بنصه(ها) الفائز في مسابقة : القصة الومضة
بالمرتبة: الأولى
مسؤولة المسابقة :
د.سماح عبد الحليم
تطهّر
ذابتْ ندماً، خَجِلَ النورُ من توهجها.

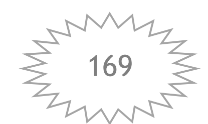

إدارة
شهادة تقديرية
رقم المسابقة : 1
مسابقات مهد الحضارات الأدبية
تتشرف إدارة مسابقات مهد الحضارات الأدبية
القاصة المبدعة (الشاعرة عايدة مغربي) من (فلسطين) الفائزة
بالمرتبة الأولى عن قصتها القصيرة (إكسير الخلود) فمبارك
لها هذا الابداع والتميز
العام الأول
اللجنة التحكيمية



إدارة
شهادة تقديرية
رقم المسابقة : 1
الفاضلة المبدعة (الشاعرة عايدة مغربي) من (فلسطين) الفائزة
بالمرتبة الأولى عن قصتها القصيرة جدا (تضحية) فنبارك
لها هذا الابداع والتميز
اللجنة التحكيمية



شهادة تقدير
تتشرف الرابطة العربية لمسابقات القصة الومضة ,بمنح هذه الشهادة
التقديرية للكاتب (ة)المبدع (ة) : عايدة مغربي
تقديرا له (ها) واحتفاء بنصه(ها) الفائز في مسابقة : القصة الومضة
بالمرتبة: الثانية
مسؤولة المسابقة :
د.سماح عبد الحليم
أم
جرحٌ دموعها، حفرت نصراً بالجنة.





شهادة تقدير وتميز

الكاتبة الأستاذة/ الشاعرة عايدة مغربي (عكا - فلسطين)

تشرف الرابطة العربية للقصة الومضة بمنح الكاتبة هذه الشهادة تقديراً لتميزها في مجال القصة الومضة وحصولها على المركز الأول بومضتها (غزة) التي شاركت بها في مسابقة يوم الاثنين الموافق ٢٠١٤/٧/٢٨

مع خالص التمنيات بمزيد من التقدم على درب الإبداع والتميز



أعضاء لجنة التحكيم اليوم ٢٠ محكماً من ١٣ دولة عربية

د. مصطفى الضبع/د. بسيم عبد العظيم/دكتور السيد نجم/ (مصر) - د. عيسى الغانم (الأردن)
أ. إبراهيم عطية (مصر) - أ. جمال بوزيان (الجزائر) - أ. ليلى عبد الحميد (سوريا)
أ. أبو إسماعيل أعبو/ أ. رحيمة بلقاس/ أ. أسماء بقالي (المغرب) - أ. علي أحمد عبده قاسم (اليمن)
أ. صفاء محجوب خليل (قطر) - أ. دلال غزيل - أ. صالحة بورخيص (تونس)
أ. حسن أبو قباعة المجبري (ليبيا) - أ. عواطف أبو حمود (السعودية) - أ. إبراهيم سعده (الإمارات)
أ. علي سلمان الموسوي (العراق) - أ. عصام أبو فرحة/ أ. أيمن جمعة (فلسطين)

الرابطة العربية للقصة الومضة ويرأسها ويديرها الأديب مجدي شلبي من تاريخ ١٢/٩/...



إدارة

شهادة تقديرية

رقم المسابقة : 4

التاريخ 25 / 4 / 2015

مسابقات مهد الحضارات الادبيه

تتشرف إدارة مسابقات مهد الحضارات الادبية / مسابقة القصة القصيرة جداً

أن تمنح هذه الشهادة التقديرية

للقاصّة المبدعة (الشاعرة عايدة مغربي) من (فلسطين) الفائزة

بالمرتبة الثانية عن قصتها القصيرة جداً (انعكاس) وبذلك

ترشح قصتها لمسابقة (أمير القصة القصيرة جدا) لهذه السنة

اللجنة التحكيمية

د. أسماء غريب - المغرب ، د. خالد التوزاني - المغرب ، د. بوزيان عثماني - المغرب

أ. غزلان هاشمي - الجزائر ، أ. عقيل هاشم - العراق ، أ. الميلودي الوريدي - المغرب

أ. محمد علي الهاني - تونس ، أ. أنور العزي - العراق ، أ. كامل التميمي - العراق

أ. سيد محمد سيد كرم - العراق ، أ. فلاح العيساوي - العراق


تصميم
محمد وجيه
شهادة شكر وتقدير
القصة القصيرة
تتشرف إدارة الديوان ملتقى الأدباء
أن تمنح هذه الشهادة
للكاتبة الرائعة
عايدة مغربي - فلسطين
لفوزها بالمركز : الثاني
مع أطيب الأمنيات بدوام التوفيق والإبداع


شهادة شكر تقدير
تمنحها إدارة الديوان ملتقى الأدباء
للكاتبة
عايدة مغربي
لفوزها بالمركز الثالث.. في القصة القصيرة جداً
عن شهر فبراير ٢٠١٦
متمنين لها دوام التقدم والإبداع
تصميم
مصطفى فاروق
فلسطين


١٢ سبتمبر ٢٠١٤
شهادة تقديرية
تتشرف الرابطة العربية لمسابقات القصة الومضة ,بمنح هذه الشهادة
التقديرية للكاتب (ة)المبدع (ة): عايدة مغربي
تقديرا له (ها) واحتفاء بنصه(ها) الفائز في مسابقة : القصة الومضة
بالمرتبة: الثالثة
مسؤولة المسابقة :
د.سماح عبد الحليم
نضوج
ارتشف كأس الحرمان؛ ارتوت أفكاره.



شهادة تقدير

22 عاما

تعلن لجنة التحكيم في

مجلة الشروق هذا عن فوز

عايده هنداوي

في مسابقة العمل الابداعي للقصة القصيرة للعام ٢٠١٠م

لذا أعطيت له شهادة التقدير هذه على

فوزه ومساهمته الفعّالة

باحترام

رئيس تحرير الشروق لجنة التحكيم

تمت بحمد اللّه


ديوان العرب
للنشر و التوزيع
176